

## الفلسفة فى الحضارة المصرية القديمة

ألهم الله (سبحانه وتعالى) الحكمة من ليسوا بأنبياء كلقمان الحكيم المصرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان: آية ١٢] ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٩] .

وهذه مقدمة تتناسب مع عبقرية علماء مصر القديمة<sup>(٢١)</sup> هؤلاء الحكماء الذين ورثوا حكمة الأنبياء ونبذوا الشرك والوثنيات لتشهد تلك السلسلة من الحكماء أن توحيد الخالق هو أساس الحكمة أو ما يُعرف بالفلسفة.

عاش الحكيم المصرى والمعلم الأكبر (تُحوت Thoth) منذ ٥٠٠٠ سنة على أقل تقدير، وقيل إن الله (سبحانه وتعالى) ألهمه العلوم ومبادئ الدين، وفى المأثور أنه قد كشف للخاصة من علماء المصريين علوم الهندسة، الفلك، العمارة، الطب، وعُزِي إليه اختراع الكتابة الهيروغليفية (Hieroglyph) كأشكال تصويرية رمزية تصور نقوش المعابد والمقابر كطائر يُحَلَّقُ عاليا ليطالع حكمة الرب المبتوثة فى الأرجاء ويهبط بالمعرفة، وليست حكمة الحكماء سوى استبصار لحكمة الرب.

وافْتَتِحَ الإغريق بحكمة المصريين وتمثلوا (تُحوت Thoth) المرسل بالحكمة بمعبودهم (هرمس - Hermes)؛ حيث كانت حكمته تصف الله (سبحانه وتعالى) بثلاث صفات أساسية جامعة: إنه أزلى وسواه عارض فهو إذا الخالق الحى القيوم القادر يُدَبِّرُ شئون خلقه، حكيم فى كل تدبيره عليم بكل الجوانب أى فريد الصفات واحد أحد لا مِثِيلَ لَهُ مُنَزَّهٌ تعالى عن صفات المخلوقين.

أسند الإغريق إلى الحكيم المصرى القديم (تُحوت Thoth) والذى أسموه هرمس كل التعاليم والأعمال، والأرجح أنها ثمرة معارف ومهارات أجيال من الكهنة المعلمين ولشهرته نسبوها جميعا إليه، ومتون هرمس تُسَمَّى (بالهرمسيات Corpus Hermeticum) وقد كُتِبَتْ بالهيروغليفية التى اندثرت حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ولم تُعرف مُجَدِّداً إلا بعد اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩م.

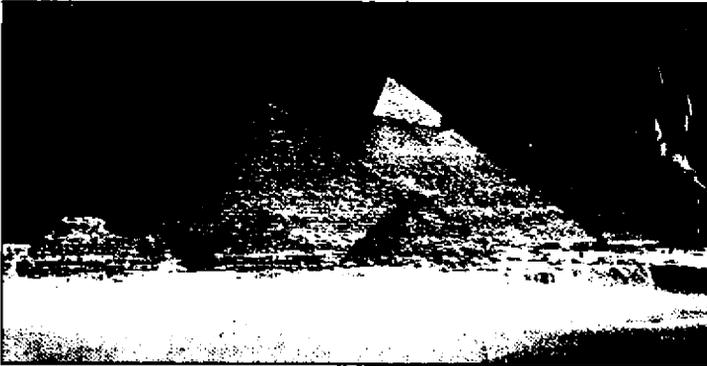
جَمَعَ المتون كهنة الإسكندرية زمن مجد الإغريق وصاغوها باليونانية بأسلوب عصرهم

وُترجمت مؤخرا إلى الإنجليزية ومنها إلى العربية، وهي دليل تاريخي على أن التوحيد أصل الديانة ونهج الحكماء منذ القدم.

من مواعظ هرمس التي تدل على الإيمان بوحداية الله وقدرته: «تأمل لِحظة كيف تَأْتِي لك أن تُخلق في الرحم، فَكَّر في صُنع القادر وابتحث عن الصَّانع الذي أبدع جمال صور الخلق، فمن ذا الذي أدار حدقة عينيك ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك، ومن ذا الذي مد أربطتك وربطها ببعضها، ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسى لحمك بالجلد ومن ذا الذي سوى أصابعك وبسط قدميك، ومن ذا الذي سَكَلَ قلبك وَجَوَّفَ رثتيك ومن ذا الذي جعل جمالك ظاهرا وأخفى قبح أمعاءك، كم من الصَّنائع صُنِعَت وكم من الأعمال أُبْدِعَت لتجسيد الخلق الإنساني فلا التماثيل ولا التصاوير تَحْدُثُ من تلقاء ذاتها.. دون عمل ناحيت أو راسم أفلا يكون لهذا العمل المُتَعَالِي من خَالِقٍ!».

ويتعدد اللغات والصفات تعددت أسماء الإله الخالق وهو يُدعى بالهيراوغليفية (آتوم Atum) ومعناه الكامل أو التام أى مُطلق القدرة.

نسب الإغريق لهرمس تشييد الهرم الأكبر وهو ما يوافق لحكمته في معرفة الله معرفة أسلوب قدماء المصريين في التعبير بالرموز المُجَسَّدة للدلالات المعنوية، ولا يستبعد أن يكون التصميم الثلاثي للأهرامات الثلاثة وكذلك توائمها الصنوان الثلاثة ليجتجه كل جانب منها لإحدى الجهات الأربع تماما بهيئة مثلث يجعلها تحفة معمارية قائمة على معرفة فلكية ورمزا لديانة التوحيد.



فتعبير هرمس عن صفات الله تعالى الجامعة الثلاث يتفق مع جوانب الأهرامات ذات الأضلاع الثلاثة، وتَوَحَّدَ قَمَمُهَا فِي نَقْطَةِ وَحِيدَةٍ شَامِخَةٍ تَتَجَّهُ نَحْوَ السَّمَاءِ يَرْمِزُ لِعَلِيَّائِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَاتِّجَاهُهَا لِأَرْكَانِ الْعَالَمِ يُشِيرُ إِلَى شَهَادَةِ كُلِّ الْوُجُودِ بِالصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ لِلخَالِقِ الْمَعْبُودِ، وَيُدْعَمُ هَذَا الْاِفْتِرَاضُ أَنَّ الْمَثَلُثَ عِنْدَ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ وَأَسْلَافِ الْيَهُودِ الْفَارِسِينَ مِنْ مِصْرَ بَكُنُوزُهَا الْمَعْرِفِيَّةُ وَحِكْمَتُهَا يَرْمِزُ لِرَبُوبِيَّةِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ.



وَلَعَلَّ تَسَابِقَ مِصْرَ لِمَجِيدِ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ وَاهِبِ نَيْلِهَا وَتَرَاءُهَا بِهَيْكَلِ مَثَلَّثَةِ الْجَوَانِبِ وَفِي حِكْمَةِ كَهْنَتِهَا فِي بِنَاءِ الْأَهْرَامَاتِ وَنَحْتِ الْمَسَلَّاتِ الْمَمْتَدَّةِ فِي السَّمَاءِ أَمَامَ الْمَعَابِدِ كِبَاصِيعٍ وَاحِدٍ مَرْفُوعٍ فِي صَلَاةٍ تَعْبِيرِيًّا بِالرَّمْزِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَكَذَلِكَ أَهْرَامَاتُ مَثَلَّثَةِ الْجَوَانِبِ يَرْجِعُ إِلَى حِكْمَةِ مَوْرُوثَةٍ تَرَكْتَ بِصِمَاتٍ مَبْدَأَ التَّوْحِيدِ فِي صَحْرَاءِ شِمَالِ السُّودَانِ بِهَيْئَةِ أَهْرَامَاتٍ مَثَلَّثَةِ الْجَوَانِبِ لَكِنِّهَا مُتَوَاضِعَةٌ تَرِبُو أَعْدَادُهَا عَلَى (٢٤٠) هَرْمَا أَى أَكْثَرَ مِنْ ضِعْفِ عَدَدِ كُلِّ أَهْرَامِ مِصْرَ (٩٧ هَرْمَا) ، فَيَقِفُ أَكْثَرَ مِنْ ٩٨ هَرْمَا عَلَى طُولِ

الشريط النيلي بالولاية الشمالية للسودان، وفي منطقة البجرواية يقف (١٤٠) هرما يعود تاريخها إلى العهد المروى (٩٠٠ ق. م. ٣٥٠ م)، ويرى باحثون أن تاريخ الصروح الهرمية والمعابد يمتد منذ بواكير الحضارة الإنسانية إلى حوالى ألفى عام قبل الميلاد طبقاً للكتابات الهيروغليفية المنقوشة على جدرانها فى مناطق كانت تُمَثِّلُ عُمُقَ دُوِيَلَاتِ النُّوبَةِ وَمَمْلَكَةِ كُوشِ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ.

وَبِمَبْدَأِ التَّوْحِيدِ آمَنَتِ مِصْرُ الْقَدِيمَةُ بِبِعْثِ الْأَجْسَادِ لِلْحِسَابِ وَهِنَا كَانَ مِيزَانُ الْعَدْلِ الَّذِى يوزن به القلب واقتضى ذلك حفظ أجساد الموتى؛ فكان علم وفن التحنيط (Mummification)، والأرواح فى مُعْتَقِدِ الْقَدَامَى كِيَانَاتِ شَفَافَةٍ غَيْرِ مَادِيَّةٍ لَا تُرَى وَلِكُلِّ جِسْمٍ مَادِّى رُوحُهُ الْمَتَّصِلَةُ بِهِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَنْطُوقَةٍ كِيَانُهَا الرُّوحِى الَّذِى يَسْتَدْعِى مَا تُعْبَّرُ عَنْهُ فِيحْضَرُ الثَّعْبَانُ بِتَلْفِظِ اسْمِهِ، وَيَفِيضُ النِّيلُ بِمِنَادَاتِهِ وَتَقْدِيسِهِ، وَيَسْتَجِيبُ الْإِلَهِ الْمَزْعُومُ الْمَجْسُدُ بِهَيْئَةِ صَنْمٍ مَنْحُوتٍ بِالِدَّعَاةِ وَالْقَرَابِينِ فَكَانَتِ الْوَثْنِيَّاتُ وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ. عِنْدَ النَّحْرَى يَتَّضِحُ أَنَّ الدَّخِيلَ قَدْ طَمَسَ مَبْدَأَ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ دَعْوَةِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحِكَمَاءِ

أو كاد أو حَرَفَهُ بالعمد أوسوء التأويل وسهو النسخ وغموض الترجمة المُشَوَّشة والمُشَوَّهة وهنا كان تأليه العُظماء وتألُّه الملوك أو الانتساب للإله.

ولم تكن أسرة (أوزوريس Osiris) وزوجته (إيزيس Isis) وابنهما (حورس Horus) وأختها (نفتيس Nephthys) سوى أسرة ملك محبوب اغتاله أخ له مفرط الطموح طامع في السلطة، فحُكِّيت عنهم الأساطير وضمَّهم خيال الكهنة إلى قائمة الآلهة الخالدين. حُجِبَ في الترجمة العربية لمتون هرمس نصُّ لَاحِقِ ذو مغزى لافِت في تاريخ مسيرة التوحيد يُحتسب من البَشَارَاتِ بِمَقْدِمِ عهد جديد يتخطى حدود مصر وَيَسُود كل العالم يَتَجَدَّد فيه الإيمان وَيَتَجَلَّى فيه التوحيد.

وتعاليم هرمس (تُحوِت) خلاصة لتأملات حكيمة لمست الحقيقة وأدركت جوهر الموجودات فنطقت بوحدانية الله وورد أنه النبي إدريس (عليه السلام).

وتوجد مسلة في برلين كانت بمفيس وترجع لعصر الأسرة التاسعة عشرة تصف نقوشها الله (سبحانه وتعالى) أنه «الوحيد الحى» وأخرى بأنه «الوحيد الخالد» أى الواحد الأحد. وهكذا عرفت مُصر التوحيد قبل دعوة إخناتون، وقد صَنَّف المؤرخ المصرى القديم (مانيتون) تاريخ مصر إلى ٣٠ أسرة ملكية ابتداء من عصر مينا موحد القطرين حوالى (٣٢٠٠ ق.م.) إلى غزو الإسكندر المقدونى لمصر (عام ٣٣٢ ق.م.)، ويؤكد مانيتون أن التوحيد هو لب عقائد المصريين القدماء وأرجعه لنبوات سبقت عصر الأسرات كنبوة إدريس (عليه السلام) الذى كان يدعو لعبادة الله الواحد الأحد وإلى مكارم الأخلاق.

وشاعت مواعظ الملوك والحكماء التى يُذكر فيها الخالق بصيغة المفرد التى تدعو إلى حسن الخلق، واعتمادا على ترجمة النقوش والبرديات توصل الكثير من الأثريين إلى أن مصر هى مهد التوحيد وأن التوحيد هو أساس الديانة منذ عصر ما قبل الأسرات وأن آثارهم ورموزهم قد اصطبغت بالتوحيد ملوكا وكهنة ورعية.

وقد قال الأثرى الفرنسى (جاستون ماسبيرو) مدير المتحف المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر: «إن المصريين القدماء كانوا أمة مخلصه فى العبادة فكانوا يرون مجد الله فى كل مكان فهامت قلوبهم فى محبته وانجذبت أفئدتهم إليه واشتغلت أفكارهم به ولازم لسانهم ذكره وشُجِنَتْ كتبهم بمحاسن أفعاله» ، وفى مؤلفاته كتب (والس بدج): «لقد أدرك المصريون بالفعل وجود إله (ليس كمثله شىء Who had no like...) (ولم يكن له كفوا أحد Who had no equal).

ومتون الأهرام التي اكتشفها جاستون ماسبيرو عام ١٨٨١م تحوى أقدم النصوص التوحيدية وترجع إلى ما قبل التاريخ المكتوب ٦٠٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م. وهي تسجيل لمعتقدات حضارات بالغة القدم.

وفى عصر الأسرة الثالثة (٢٦٥٠ - ٢٥٧٥ ق.م.) كان من وصايا الحكيم (إيمحوتب) مهندس الملك زوسر وبانى أول هرم صخرى (هرم سقارة المدرج) بهيئة سلم يتجه نحو السماء: «لا تسخر من الإنسان الذى به إعاقة ولا تسخر من الذى فقد بصره ولا تضحك من الرجل الذى عقله فى يد الله (المريض العقلى)» .

واحتمل البعض أن إيمحوتب هو النبي يوسف عليه السلام الذى جاء مصر فى هدوء وسلام لا غازيا طامعا فى سلطة فوَهَبَه الله السلطة. والاسم إيمحوتب يعنى فى الهيروغليفية: «الذى جاء فى سلام».

وفى عصر الأسرة الرابعة و (٢٥٧٥ - ٢٤٦٥ ق.م) كان المأثور عن الحكيم (كاجمنى) وزير الملك سنفرو: «اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الإله (هو) قوى وهو يحكم ويدبر العالم ويرزق البشر».

وفى عصر الأسرة الخامسة ٢٤٦٥ - ٢٣٢٣ ق.م. كان المأثور عن الحكيم (بتاح حتب) فى مواعظه لابنه وفق بردية إبريس جامع الوثائق القديمة: «بيد الإله مصير كل حى ولا يجادل فى هذا إلا الجاهل، إن تدبير الخلق بيد الله الذى يحب خلقه».

وفى عصر الأسرة السادسة ٢٣٢٣ - ٢١٥٠ ق.م: «أيها السيد المالك كل شىء والذى لا نهاية لواسع علمه وبالغ قدرته ولا حد له».

وفى عصر الأسرة الثامنة ٢١٥٠ - ٢١٣٥ ق.م. فى ترجمة بردية الحكيم (آنى): «اخلىص لله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته».

وفى عصر الأسرة العاشرة ٢١٣٥ - ٢٠٢٢ ق.م وفق ترجمة بردية مواعظ الملك الحكيم خيتسى (إِخْتُوى): «الله وراء الأجيال محيط بأعمالهم لا تدركه أبصار الناس وهو يدرك ما يعملون فاعبد الله، والإله يقول إنى أنا المنتقم وسأعاقب كُلاً بذنبه وعلى الإنسان أن يعمل ما يريد على ألا ينسى الحساب الأخير».

وفى عصر الأسرات ١١ و١٢ و١٣ ٢١٣٥ - ١٦٥٠ ق.م. وفق ترجمة بردية (تشتربيتى

(Chester Beatty): «لا تعترض على الرب فإنه يغضب على من يعترض عليه ولا ترفع صوتك في المحراب فإن الله يحب السكون».

وفى زمن حكم الهكسوس العماليق عصر الأسرات ١٥ و١٦ و١٧ و١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م. تم احتلال الدلتا وعانت مصر من قسوة هؤلاء الجحافل الجبارين من البدو الرعاة القادمين من ربوع الهلال الخصيب من الأعراب الرُّحْل والآراميين الوثنيين، ولقب عماليق ليس وصفا للطول وإنما المقطع (عم) هيروغليفي يعنى بدوى والجمع (عموا) البدو و(لبق) آرامى ويعنى المجندين وهم مرتزقة أشداء والمعنى الإجمالى: المجندين البدو، وسماههم الرومان الهكسوس بمعنى الملوك الرعاة وسماههم القرآن الكريم بتسمية وصفية أدق وهى الجبارين: ﴿يَقَوْمٌ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ أَنَّهَا قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المائدة: آية ٢١ - ٢٢].

وفى زمن الأسرة الثامنة عشر (١٥٥٠ - ١٢٩١ ق.م.) أوصى الملك الحكيم (تحتمس الثالث) وزيره رخمى (رع) قائلا: «لا يرضى الرب بالتحيز كن يقظا فمنصب الوزير عماد الأرض كلها فليس للوزير أن يستعبد الناس تصرف بالعدل فالمحابة يمقتها الرب كن عادلا مع من تعرفه ومن لا تعرفه».

وعن الوزير الحكيم رخمى (رع): «اسمعوا أنتم يا من فى الوجود إن الله يعلم ما فى الأنفس».

وفى ترنيمة بالمتحف البريطانى فى عصر أَمِنْحَتَب (إمنوفيس) الثالث ١٣٩١ - ١٣٦٦ ق.م.: «أيها الخالق الذى لم يخلقك أحد الواحد النقطع القرين (النظير) فى صفاتك والراعى ذو القوة والبأس والصانع الخالد فى آثاره التى لا يحيط بها حصر». وفى نهاية الأسرة الثامنة عشر ظهر ابنه أَمِنْحَتَب الرابع الملقب بلقب (إخناتون) - ١٣٧٠ - ١٣٠٤ ق. م. كأشهر الموحدين.

وفى عصر الأسرة العشرين ١١٨٧ - ١٠٧٥ ق.م عاش الحكيم (أمين موبى Amen Mope) ومن أقواله: (ما فائدة الملابس الجميلة إذا كان الإنسان باغيا أمام الله، الكمال لله وحده والعجز من صفة الإنسان إنه لسعيد من يصل إلى الدار الآخرة وهو ناج فى يد الله). ووفق ما توصل إليه الباحث الألماني (إرمان) وأعلنه سنة ١٩٢٤م سفر الأمثال فى أسفار

اليهود والذى نسبه الأخبار الكهنة كتبة الأسفار إلى النبي سليمان ما هو إلا ترجمة حرفية  
لأمثال الحكيم المصرى (أمين موبى) المكتشفة برديتها حديثا.

قال (برستد): «وجميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يُعْتَدُّ بآرائهم وأبحاثهم فيه  
يجزمون الآن بأن محتويات سفر الأمثال قد أخذت بالنص من حِكْمِ الحكيم المصرى القديم  
أمين موبى، أى إن النسخة العبرانية هى ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى العتيق».   
وفى عصر الأسرة الواحد والعشرين ١٠٧٥ - ٦٦٤ ق.م. عاش (لقمان الحكيم) المصرى  
ابن النوبة وقد شهد له القرآن الكريم بما كان عليه حكماء مصر قديما من توحيد وتقوى  
وورع وتَنَسُّكٍ وزهد وهو إنباء بغييب فى وقت قد زالت فيه حضارتهم واندثرت معالم لغتهم  
والتي لم تُفَكِّ شفرة طلاسمها وتُعرف دلالة رموزها إلا بعد اكتشاف حجر رشيد سنة  
١٧٩٩م وكان أول ما وعظ به ابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة  
لقمان: آية ١٣].

وفى عصر الأسرة الثلاثين ٣٨٠ - ٣٣٢ ق.م. عاش الحكيم (بتوزيريس) كبير كهنة  
الأشمونيين بصعيد مصر وسجل كتاباته حوالى (٣٥٠ ق.م.) ونُقِشَتْ على مقبرته أقوالا فى  
التوحيد: ألا ما أسعد من ملأت خشية الله قلبه.

والمأثور بعد عصر الأسرات عن الحكيم (أفلوطين) المولود فى أسيوط سنة ٥٠٢ م قوله:  
الله هو الواحد (The One) الذى صدرت عنه الموجودات هو علة كل ما هو موجود.



## الفلسفة فى الحضارة الإغريقية

الفلسفة الإغريقية<sup>(٢٢)</sup> تقوم على السبب والتحقق، ويرى الفلاسفة المعاصرون أنها تُعتبر أساسا للفلسفة الغربية منذ إنشائها فإذا كان تفكير الإنسان القديم أسطوريا فى تفسير الظواهر الكونية والوجودية وشاعريا يعتمد على الخيال والمجاز فإن تفسير الإنسان اليونانى كان تفكيرا عقلانيا يعتمد على البرهان ذهنى والمنطق الاستدلالى، واللوغوس (أصل الكلمة - السبب - logos) كلمة إغريقية تعنى السبب أو المنطق ومنها الكلمة الإنجليزية (علم أصول الكلام - علم المنطق أو القياس - logic).

حيث كان الفيلسوف اليونانى يعتمد على البرهان ذهنى والمنطق الاستدلالى واللوغوس فى فهم الوجود وتفسيره، وإذا كان (فيثاغورس) هو أول من أطلق كلمة فيلسوف على المشتغل بالحكمة فإن سقراط هو أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أى إنه اتبع فى فلسفته القياس المادى أو البرهان العقلى، وقد ظهرت الفلسفة كما هو معلوم فى اليونان ونضجت بالخصوص فى عاصمتها أثينا ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد مكتوبة باللغة الإغريقية هدفها فهم الكون والطبيعة والإنسان وتشخيص سلوكه الأخلاقى والمجتمعى والسياسى وإرساء مقومات المنهج العلمى والبحث الفلسفى والمنطقى.

### نشأة الفلسفة الإغريقية

- نشأة الفلسفة الإغريقية تلك العوامل التاريخية الاقتصادية السياسية الجغرافية وما تبع تلك العوامل من العوامل الفكرية.
- ظهرت الحضارة الإغريقية فى بلاد اليونان الكبرى مكتملة الوجود ما بين القرنين الخامس والتاسع قبل الميلاد، وتوحدت كثير من القبائل والمدن داخل كيان الأمة اليونانية بعد أن كانت متفرقة فى جزر بحر إيجه وآسيا الصغرى ومنطقة البلقان وشبه جزيرة المورة وجنوب إيطاليا وصقلية.
- قد أطلق على اليونانيين تسمية الإغريق من قبل الرومان لأنهم كانوا يتكلمون الإغريقية أما هم فقد كانوا يسمون أنفسهم الآخيين ثم الهلنيين.

● وقد مرت الحضارة الإغريقية بثلاث مراحل كبرى: العصر الهلنستي ابتداء من (٣٠٠ ق.م.) مروراً بالعصر الكلاسيكي الذي يُعد أزهى العصور اليونانية في عهد الحاكم الديمقراطي بركليس ويمتد هذا العصر من القرن (٣٥٠ إلى ٥٠٠ ق.م.) ليعقبه العصر الأرخي وهو عصر الطغاة والمستبدين الذين حكموا أثينا بالاستبداد، وكذلك الحكم الإسبرطي الحربى الذى سن سياسة التوسع والهيمنة على جميع مناطق اليونان كما مد سلطة نفوذه المطلق على أثينا.

وإذا كانت إسبرطة دولة حربية منغلقة على نفسها تهتم بتطوير قدرات جيشها على القتال والاستعداد الدائم لخوض المعارك والحروب فإن أثينا كانت هى المعجزة الإغريقية التى تهتم بالجوانب الفكرية والثقافية والاقتصادية، وعرفت أثينا فى عهد بريكليس نظاما ديمقراطيا مهما أسسه احترام القانون واحترام حقوق المواطن اليونانى.

وتتميز المدن اليونانية بأنها دول مستقلة لها أنظمتها السياسية والاقتصادية وقوانينها الخاصة فى التدبير والتسيير والتنظيم ومن أهم هذه المدن أثينا وإسبرطة هذا من الناحية التاريخية.

ومن الناحية الاقتصادية عرفت اليونان نهضة كبرى فى المجال الاقتصادى لكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب، وكان لأثينا أسطول تجارى بحرى يساعدها على الانفتاح والتبادل التجارى بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد ساهم اكتشاف المعادن فى تطوير جوانب الاقتصاد اليونانى وازدهرت الفلاحة وكان العبيد يسهرون على تفلح الأراضى وحصد الناتج الزراعى، ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادى رخاء مالى اجتماعى.

ومن الناحية السياسية لم تصل اليونان إلى حضارتها المزدهرة إلا فى جو سياسى ملائم لنمو مقومات هذه الحضارة، ومع انفتاح اليونان على شعوب البحر الأبيض المتوسط وازدهار التجارة البحرية ونمو الفلاحة والصناعة والحرف ظهرت طبقات جديدة مثل أرباب الصناعات، والتجار الكبار، والحرفيين وساهم هؤلاء فى ظهور النظام الديمقراطى وخاصة فى عهدى بريكليس وكليستين.

ومن الناحية الجغرافية كانت اليونان فى القديم من أهم دول البحر الأبيض المتوسط لكونها مهد المدنية والحضارة والحكمة ومحل الفكر العقلانى والمنطق الإنسانى وجغرافيا

فإن اليونان إبان ازدهارها كانت تطل جنوبا على جزيرة كريت العظيمة ويحيطها شرقا بحر إيجه وآسيا الوسطى التي كانت تمد اليونان بمعالها الحضارية وثقافات الشرق، وفي الغرب عبر أيونيا تقع إيطاليا وصقلية وأسبانيا، وفي الشمال تقع مقدونيا وهي عبارة عن شعوب غير متحضرة، وتشكل اليونان على مستوى التضاريس من جبال شاهقة وهضاب مرتفعة وسواحل متقطعة ووديان متعمرة.

حيث قسمت هذه التضاريس بلاد اليونان إلى أجزاء منعزلة وقطع مستقلة ساهمت في تبلور المدن التي كانت لها أنظمة وأساليب خاصة في الحكم والتدبير الإداري والتسيير السياسى وكانت من أشهر المدن اليونانية أثينا وإسبارطة.

وكانت أثينا مهد الفلسفة اليونانية وتقع في شرق إسبرطة وموقعها متميز واستراتيجى؛ فهي الباب الذى يخرج منه اليونانيون إلى مدن آسيا الصغرى وعبر هذه المدن كانت تنقل حضارة الشرق إلى بلاد اليونان.

ومن أهم ركائز أثينا اعتمادها على مينائها وأسطولها البحرى، وبين عامى (٤٧٠ - ٤٩٠ ق.م.) تركت أثينا وإسبرطة صراعهما وتوحدت لمحاربة الفرس تحت حكم (داريوس الحاكم فارسى) الذى كان يستهدف استعمار اليونان وتحويلها إلى مملكة تابعة للإمبراطورية الفارسية، ولكن اليونان المتحدة استطاعت أن تلحق الهزيمة بالجيش الفارسى. وقد شاركت أثينا فى هذه الحرب الضروس بأسطولها البحرى بينما قدمت إسبرطة جيشها القوى وبعد انتهاء الحرب سرحت إسبرطة جيوشها وحولت أثينا أسطولها الحربى إلى أسطول تجارى ومن ثم أصبحت أثينا من أهم المدن التجارية فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد عرفت أثينا نشاطا فكريا وفلسفيا كبيرا بفضل الموقع الجغرافى والنشاط التجارى ونظامها السياسى الديمقراطى، وتمتع الأثينى بالحريات الخاصة والعامة وإحساسه بالمساواة والعدالة الاجتماعية فى ظل هذا الحكم الجديد.

فأصبحت أثينا إحدى المدن التجارية العظيمة فى العالم القديم وتحولت إلى سوق كبيرة وميناء وكان اجتماع الرجال من مختلف الأجناس والعادات والمذاهب، وحملت خلافاتهم واتصالاتهم ومنافساتهم إلى أثينا التحليل والتفكير... وبالتدريج تطور التجار بالعلم وتطور الحساب بتعقيد التبادل التجارى وتطور الفلك بزيادة مخاطر الملاحة مما أدى إلى الثروة المتزايدة والفراغ والراحة والأمن وهى الشروط اللازمة فى البحث والتأمل والفكر.

ومع ازدهار الاقتصاد وديمقراطية الحكم السياسى وانفتاح الدولة على شعوب البحر الأبيض المتوسط وانصهار الثقافات انتعشت اليونان ثقافيا وفكريا وتطورت الآداب والفنون والعلوم، وفى مجال الألعاب الأولمبية كان البطل الأسطورى هرقل والرياضيات مع طاليس والمدرسة الفيثاغورية، وتطور الطب مع أبقراط أبو الأطباء، وتطورت الفلسفة مع الحكماء والفلاسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو.

## ظهور الفلسفة اليونانية

لم تظهر الفلسفة اليونانية فى البداية إلا فى مدينة ملطية الواقعة على ضفاف آسيا الصغرى حيث أقام الآيونيون مستعمرات غنية مزدهرة، وفى هذه المدينة ظهر كل من طاليس وأنكسمندرس وأنكسمانس وشكلوا مدرسة واحدة فى الفلسفة وهى المدرسة الطبيعية أو المدرسة الكسمولوجية (الوجودية)، وتتسم هذه الفلسفة بكونها ذات طابع مادى ترجع أصل العالم إلى مبدأ حسى ملموس ولا تعترف بوجود الإله الربانى، وبعد ذلك انتقلت الفلسفة اليونانية إلى المناطق الأخرى كأثينا وإيطاليا وصقلية أو ما يشكل اليونان الكبرى. ومرت الفلسفة اليونانية فى مسارها الفكرى بثلاث مراحل أساسية: طور النشأة أو ما يُسمى بفلسفة ما قبل سقراط، طور النضج والازدهار ويمتد هذا الطور من سقراط حتى أرسطو، طور الجمود والانحطاط وقد ظهر هذا الطور بعد أرسطو وأفلاطون وامتد حتى بداية العصور الوسطى.

## المدارس الفلسفية الإغريقية (اليونانية)

المدرسة الكسمولوجية (الطبيعة) (علم استكشاف الكون - Cosmology وأصلها كلمة لاتينية تعنى الكون أو العالم - Koz'mos - ... ومنها الكلمة الإنجليزية - الكون - Cosmos).

ظهرت الفلسفة اليونانية أول ما ظهرت مع الحكماء الطبيعيين الذين بحثوا عن العلة الحقيقية للوجود الذى أرجعوه إلى أصل مادى وكان ذلك فى القرن السابع والسادس قبل الميلاد وكانت فلسفتهم خارجية وكونية أساسها مادى تهتم بفهم الكون وتفسيره تفسيراً طبيعياً باحثين عن أصل الوجود بما هو موجود.

ويُعد طاليس (٥٦٠ - ٥٤٨ ق.م.) عالم الرياضيات أول فيلسوف يوناني اشتغل بالفكر الفلسفي وهو من الحكماء ومن رواد المدرسة المظلية وقد جمع بين النظر العلمي والرؤية الفلسفية وقد وضع طريقة لقياس الزمن.

وتبنى طاليس دراسة الأشكال المتشابهة في الهندسة وخاصة دراسته للمثلثات المتشابهة، ولقد اكتشف البرهان الرياضى فى التعامل مع الظواهر الهندسية والجبرية أو ما يُسمى بالكم المتصل والكم المنفصل وإذا كان هناك من ينسب ظهور الرياضيات إلى فيثاغورس فإن «كانط» يعتبر طاليس أول رياضى فى كتابه «نقد العقل النظرى».

وطاليسُ يرجع أصل العالم فى كتابه عن الطبيعة إلى الماء باعتباره العلة المادية الأولى التى كانت وراء خلق العالم ويؤكد طاليس أن الماء هو قوام الموجودات بأسرها فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الاختلاف فى كمية الماء الذى يتركب منها هذا الشيء أو ذلك.

أما انكسمندريس (٦١٠ - ٥٤٥ ق.م.) تلميذ طاليس وأستاذ المدرسة الماظلية فهو يرى أن أصل العالم مادي يكمن فى اللامحدود أو اللامتناهى وقد تصور امتداد هذا اللامتناهى حتى ظهور الكائنات الحية. وقد آمن انكسمندريس بالصراع الجدلى وبنظرية التطور وفى المقابل ذهب إنكسمانس فى كتابه عن الطبيعة إلى أن الهواء هو أصل الكون وعلّة الوجود الأولى. وبعد ذلك فلاسفة عدة هرقليطس (من مواليد ٥٤٥ ق.م.) ومؤلف كتاب «عن الطبيعة» ويذهب إلى فلسفة التغير والتحول وأن النار هى أساس الكون وعلّة الوجود أما بارمنديس (من مواليد ٥٤٠ ق.م.) وترتكز نظريته الفلسفية على الثبات والسكون كما هو موضح فى كتابه «عن الطبيعة» أى إن الوجود هو ثابت وساكن ومناقض للماضى والمتغير وقال: «الوجود كائن واللاوجود غير كائن». ومن هنا نستنتج أن أصل الكون الحقيقى عند بارمنديس هو الوجود.

أما أمبادوقليس (وتوفى تقريبا فى عام ٤٣٥ ق.م.) وكانت ولادته على وجه التقريب فى ٤٩٠ ق.م. ومن مؤلفاته كتاب «التطهيرات» وهو أقرب إلى كتاب الأساطير والمعانى الدينية منها إلى الفكر العلمى ويثبت أمبادوقليس أن الكون أصله أربعة: (النار، الهواء، الماء، التراب) وقد أضاف العنصر الخامس وهو الأثير وكل عنصر من هذه العناصر تعبر عن آلهة أسطورية خاصة.

ويذهب أكرزينوفانوس (المتوفى سنة ٤٨٠ ق.م.) إلى أن أصل الكون هو التراب أو الأرض وقد ذهب أنكساجوراس إلى أن أصل الكون هو عدد لا نهائي من العناصر أو البذور يحركها عقل رشيد بصير أما المذهب الذرى الذى يمثله كل من: ديمقريطس ولوقيبوس فيرى أن أصل العالم هو الذرات.

ويلاحظ على مدرسة الطبيعة أنها مدرسة مادية تهتم بالطبيعة من منظار كوني، والمنهج التحليلي عندهم يتسم بالخلط بين العقل والأسطورة والشعر والتحليل الميتافيزيقي (Metaphysics- ما وراء الطبيعة).

### المدرسة الفيثاغورية (العقل والمنهج العلمى)

فيثاغورس<sup>(٢٣)</sup> (٥٨٠ - ٥٠٠ ق.م.) هو عالم رياضيات يونانى يُعرف بأنه كان مفكرا بارزا أقام فى مستعمرة كرتون اليونانية فى إيطاليا حوالى سنة ٥٣٠ ق.م. حيث أنشأ مدرسة لاستقبال زملائه ولناقشة موضوعات مثل ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد. واهتم فيثاغورس كثيرا بعدد من المواضيع العلمية ومما يؤثر أنه هو القائل بأن الأرض تدور حول الشمس قبل ألفى سنة من العالم الفلكى البولونى «كوبر نيكوس». وقد بين أن شد سلك بين ملزمتين أو إرخاءه يبدل النغمة الموسيقية التى يبعثها عندما يُنقر عليه فى فترات منتظمة وتكون النتيجة سلم موسيقى هرمونى.

### فيثاغورس (Πυθαγόρας)



تنتسب المدرسة الفيثاغورية إلى العالم الرياضى اليونانى فيثاغورس، وفى تدوين آخر لفترة حياته: (٥٦٩ - ٤٧٥ ق.م.) الذى يُعد أول من استعمل كلمة فيلسوف محب الحكمة، أما الحكمة فكانت لا تنسب سوى للآلهة (رأى فيثاغورس) ويذهب فيثاغورس إلى أن العالم عبارة عن أعداد رياضية كما أن الموجودات عبارة عن أعداد وبالتالي فالعالم عنده عدد ونغم، وتتسم الفيثاغورية بأنها مذهب دينى عميق الرؤية والشعور كما أنها مدرسة علمية تعنى بالرياضيات والفلك والطب والموسيقى، وقد طرحنت الفيثاغورية كثيرا

من القضايا الحسابية والهندسية موضع نقاش وتحليل كما أن الفيثاغورية هيئة سياسية تستهدف تنظيم المدينة على أيدي الفلاسفة الذين يحتكمون إلى العقل والمنهج العلمي.

### المدرسة السفسطائية (القائمة على الشك)

ظهرت المدرسة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية، وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة رجال التجارة، وأرباب الصناعات، مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير والاحتكام إلى المجالس الانتخابية والتصويت بالأغلبية ولم يعد هناك ما يُسمى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي بل كل مواطن حر له الحق في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة، لذلك سارع أبناء الأغنياء لتعلم فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين، وهنا ظهر السفسطائيون ليزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية.

وقد تحولت الفلسفة إلى وسيلة لكسب الأرباح المادية ولاسيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء ومن الفلاسفة السفسطائيين جورجياس، وكاليكس، وبروتاغوراس وقد تسبب هذا التيار الفلسفي القائم على الشك والتلاعب اللفظي وتضيق الحقيقة وعدم الاعتراف بها في ظهور الفيلسوف سقراط الذي كان يرى أن الحقيقة يتم الوصول إليها ليس بالظن والشك والفكر السفسطائي المغالطي بل بالعقل والحوار الجدلي التوليدي واستخدام اللوجوس أو المنطق.

### المدرسة السقراطية (إدراك الحقيقة)

سقراط<sup>(٢٣)</sup>:

فيلسوف أثينا (٤٨٦ ق.م. - ٣٩٩ ق.م.) يُعد سقراط أبا الفلاسفة اليونانيين وقد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، ويعنى هذا أن الحكماء الطبيعيين ناقشوا كثيرا من القضايا التي تتعلق بالكون وأصل الوجود وعلته الحقيقية التي كانت وراء وجود هذا العالم أو هذا الوجود الكوني، وعندما ظهر سقراط غير



سقراط فيلسوف أثينا

مجرى الفلسفة فحصرها فى أمور الأرض وقضايا الإنسان والذات البشرية فاهتم بالأخلاق والسياسة وقد ثار ضد السفسطائيين الذين زرعوا الشك والظن.

ودافع سقراط عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمى الصحيح للوصول إلى الحقيقة وذلك بالاعتماد على العقل والبرهان المنطقى، والهدف من الفلسفة لدى سقراط هو تحقيق الحكمة وخدمة الحقيقة لذاتها وليس الهدف وسيلة أو معيارا خارجيا كما عند السفسطائيين الذين ربطوا الفلسفة بالمكاسب المادية والمنافع الذاتية والعملية، وكان سقراط ينظر إلى الحقيقة فى ذات الإنسان وليس فى العالم الخارجى، وما على الإنسان إلا أن يتأمل ذاته ليذكر الحقيقة لذلك قال قولته الماثورة : «أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك».

### المدرسة الأفلاطونية (المثالية)

أفلاطون<sup>(١٣)</sup>:



أفلاطون (Πλάτων)

(باللاتينية: Plato) ويعنى اسمه: «واسع الأفق» (٤٢٧ - ٤٢٨ ق.م. \ ٣٤٧ - ٣٤٨ ق.م) فيلسوف يونانى كلاسيكى رياضياتى كاتب عدد من الحوارات الفلسفية ويُعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا أول معهد للتعليم العالى فى العالم الغربى، ومعلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وقد وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم وتأثر بأفكار معلمه سقراط كما تأثر بإعدامه الظالم، ونبوغ أفلاطون وأسلوبه واضح فى محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاوره) التى تتناول مواضيع فلسفية مختلفة مثل: الرياضيات، المعرفة، المنطق، اللغة، الميتافيزقا، الأخلاق، والسياسة.

جاء أفلاطون بعد سقراط ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا ولكنه تصور مثالى لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل، ولأفلاطون نسق فلسفى يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم، وقد قسم أفلاطون العالم إلى قسمين: العالم المثالى والعالم المادى.

فالعالم المادى هو عالم متغير ونسبى ومحسوس وقد استشهد أفلاطون بقصة الكهف التاريخية ليبين أن العالم الذى يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقى وأن العالم الحقيقى

هو عالم المُثل الذى يُوجد فوقه الخير الأسمى والذى يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلى. كما يتم إدراك المعرفة فى عالم المُثل عن طريق التفلسف العقلانى ومن هنا فالمعرفة حسب أفلاطون تذكر والجهل نسيان ويعنى هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالى أصابنا الجهل لذا فالمعرفة الحقيقية أساسها إدراك عالم المُثل وتمثل مبادئه المبادئ المطلقة الكونية التى تتعالى عن الزمان والمكان.

ومن ثم فأصل المعرفة هو العقل وليس التجربة أو الواقع المادى الحسى الذى يحاكى عالم المُثل محاكاة مشوهة، فجميع القيم الأخلاقية من خير وجمال وعدالة نسبية فى عالمنا المادى ومطلقة حقيقية فى عالم المثل المطلق والأزلى.

ويؤسس أفلاطون فى «الجمهورية الفاضلة» مجتمعا متفاوتا وطبقيا وكان يفضل إنتاج النظريات وممارسة الفكر المجرد، كما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته الفاضلة لأنهم يحاكون العالم النسبى محاكاة مشوهة وكان عليهم أن يحاكوا عالم المثل بطريقة مباشرة دون وساطة نسبية أو خادعة تتمثل فى محاكاة العالم الوهمى بدلا من محاكاة العالم الحقيقى. وفلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس وتعتبر عالم المُثل العالم الأسمى بينما العالم المادى هو عالم زائف ومشوه وغير حقيقى، وفى كتابه «جمهورية أفلاطون» يقدم تصورات فلسفية واجتماعية وسياسية.

والتصور الأفلاطونى يقوم على ثنائيات العالم المادى فى مقابل العالم المثالى وانشطار الإنسان إلى روح من أصل سماوى وجسد من جوهر مادى وانقسام المعرفة إلى معرفة ظنية محسوسة فى مقابل معرفة يقينية مطلقة.

وعلى المستوى الاجتماعى أثبت أفلاطون أن هناك عامة الناس وهم سجناء الحواس الظنية، والفلاسفة الذين ينتمون إلى العالم المثالى لكونهم يتجردون من كل قيود الحس والظن وعالم الممارسة.

## مدرسة أرسطو (المادية)

أرسطو<sup>(١٣)</sup> :

(٣٨٤ق.م. - ٣٢٢ ق.م.) فيلسوف يونانى تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر وواحد من عظماء المفكرين، وتغطى كتاباته مجالات عدة منها: الفيزياء والميتافيزيقا والشعر

والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان وهو واحد من أهم مؤسسى الفلسفة الغربية.

ويعد أرسطوطاليس (Aristotle) فيلسوفا موسوعيا شاملا وكانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمى؛ إذ يبحث فى الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح وقد وضع المنطق الصورى الذى كان له تأثير كبير فى كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزى مع برتراند راسل ووايتهداد.



أرسطو أو أرسطوطاليس  
(Αριστοτέλης)

يذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقى هو العالم الواقعى المادى أما العالم المثالى فهو غير موجود وأن الحقيقة لا توجد سوى فى العالم الذى نعيش فيه وخاصة فى الجواهر التى تُدرك عقلا نيا ولا توجد الحقيقة فى الأعراض التى تتغير بتغير الأشكال، أى إن الحقيقى هو الثابت المادى أما غير الحقيقى فهو المتغير المتبدل.

ولقد أعطى أرسطو الأولوية لما هو واقعى ومادى على ما هو عقلى وفكرى ومن هنا عد أرسطو فيلسوفا ماديا اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة والعلة الغائية والعلة الصورية الشكلية والعلة المادية، فإذا أخذنا الطاولة مثلا لهذه العلل الأربع فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية أما صورة الطاولة فهى العلة الصورية الشكلية فى حين تظهر العلة الغائية فى الهدف من استعمال الطاولة التى تسعفنا فى الأكل والشرب.

### المدرسة الفلسفية (الأخلاقية)

وقد تبلور هذا الاتجاه الفلسفى الأخلاقى بعد موت أرسطو وتغير الظروف الاجتماعية والسياسية حيث انصرف التفكير فى الوجود إلى البحث فى السلوك الأخلاقى للإنسان. وقد ارتبطت المدرسة الأخلاقية بالفيلسوف زينون (٣٣٦ - ٢٦٤ ق.م.) الذى اقترنت الفلسفة عنده بالفضيلة واستعمال العقل من أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية، وتعد تلك

الفلسفة مدخلا أساسيا للوصول إلى المنطق والأخلاق والطبيعة وهو ما كان مختلفا عن المنطق الأرسطي الصورى وقد أثر منطقتهم فى الكثير من الفلاسفة والعلماء.

### المدرسة الأبيقورية (الأخلاقية العملية)

تُنسب الفلسفة الأبيقورية إلى إبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م.) وتتميز فلسفته بصبغة أخلاقية عملية وترتبط هذه الفلسفة بالسعادة الحسية.

وتسعى الفلسفة فى منظور هذه المدرسة إلى الحصول على السعادة باستعمال العقل والسعادة هى غاية الفلسفة ويخدمها المنطق وعلم الطبيعة، أى إن المنطق هو الذى يسلم الإنسان إلى اليقين الذى به يطمئن العقل والذى بدوره يؤدى إلى تحقيق السعادة، ويهدف علم الطبيعة إلى تحرير الإنسان من مخاوفه وأحاسيسه التى تثير فيه الرعب ويعنى هذا أن الفلسفة لا بد أن تحرر الإنسان من مخاوفه وقلقه والرعب الذى يعيشه فى الطبيعة بسبب الظواهر الجوية والموت وغير ذلك.

### المدرسة الإسكندرية

انتقلت الفلسفة إلى مدينة الإسكندرية التى بناها الإسكندر المقدونى إبان عصر سقراط وأفلاطون وأرسطو، وكانت الإسكندرية مشهورة بمكتبتها العمارة التى تمتلئ بالكتب النفيسة فى مختلف العلوم والفنون والآداب، ومن أشهر علماء هذه المدرسة: إقليدس وأرشميدس، وقد انتعشت هذه المدرسة فى القرون الميلادية الأولى وامتزجت بالحضارة الشرقية مع امتداد الفكر الدينى والثنى وانتشار الأفكار الأسطورية والخرافية والنزعات الصوفية.

ومن مميزات هذه المدرسة التوفيق بين آراء أفلاطون المثالية وأرسطو المادية والتشبع بالمعتقدات الدينية المسيحية واليهودية، والأفكار الوثنية من زرادشتية ومانوية وبوذية، والفصل بين العلم والفلسفة بعد ظهور فكرة التخصص المعرفى والاهتمام بالتصوف والتجليات العرفانية والانشغال بالسحر والتنجيم والغيبيات والإيمان بالخوارق.

وقد تشبعت الفلسفة الأفلاطونية بهذا المزيج الفكرى الذى يتجسد فى المعتقدات الدينية والمنازع الصوفية وآراء الوثنية فنتج عنها فلسفة غريبة امتزجت بالطابع الروحانى الشرقى وذلك من أجل التوفيق بين الدين والفلسفة.

والذين كانوا يمارسون عملية التوفيق كانوا يعتقدون أنهم يوفقون بين أرسطو وأفلاطون ولكنهم كانوا في الحقيقة يوفقون بين أفلاطون وأفلوطين مما أعطى هجيناً فكرياً يُعرف بالأفلوطينية الجديدة ومن أشهر فلاسفة المدرسة الإسكندرية كلا من فيلون وأفلوطين الذين كانت تغلب عليهما النزعة الدينية والتصور المثالي في عملية التوفيق وتتسم فلسفة أفلوطين بكونها مزيج فيه آراء أفلاطون والأخلاقيين والأفكار الهندية والنسك الشرقي والديانات الشعبية المنتشرة آنذاك».

والطابع العام لفلسفة أفلوطين هو غلبة الناحية الذاتية على الناحية الموضوعية فهي فلسفة تتسم بعمق الشعور الصوفي والمثالية الأفلاطونية ووحدة الوجود الأخلاقية، فالمعرفة عنده وعند شيعته تبدأ من الذات وتنتهي إلى الله دون أن تمر بالعالم المحسوس وهذه المعرفة الذاتية الباطنية هي كل شيء عند فلسفة أفلوطين وشيعته.

### فلسفة الرومان<sup>(٢٤)</sup>

سارت أبحاث المذاهب الفلسفية منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو في اتجاهات ثلاثة: المنطق، الطبيعة، الأخلاق، وكانت المدارس الفلسفية الأولى في أثينا تعنى بالمنطق والطبيعة أكثر من اهتمامها بالأخلاق، فلما امتزجت حضارة الرومان بحضارة الإغريق وقامت مدارس الفلسفة في روما على غرار ما عرفته أثينا ظهرت محاولات للتوفيق بين المذاهب الفلسفية اليونانية فضلاً عن السعى للاختيار من كل مذهب ما يتفق والبيئة الطبيعية والاجتماعية للرومان ومع ذلك فلم يقدم الرومان من خلال هذه المحاولات ما يُعد بجديد في المذاهب الفلسفية بل ظهر واضحاً للعيان التأثير أساساً بمذاهب ثلاثة رئيسية: مذهب الشك - Scepticism والإبيقوريين Epicureanism والأخلاقيين أو الرواقيين Stoicism. وهذه المذاهب الثلاثة اهتمت بالأخلاق أكثر من اهتمامها بالمنطق والطبيعة.

### تأثير الإسكندر والرومان في الفلسفة الإغريقية

ما لبثت أن تغيرت معالم الحياة في أثينا بظهور الإسكندر الأكبر وما حققه في تلك الفترة الوجيهة من حكمه من غزوات وفتوحات بلغت أبواب الهند ذلك أن حكم المدينة كما كانت الحال في أثينا حل محله وحدات سياسية أوسع نطاقاً وأكثر امتداداً من حكم المدينة، وتؤكد هذا الاتجاه في الحكم بعد موت الإسكندر وتقسيم الإمبراطورية بين

قواده فاتسعت الهوية بين الحاكم وأفراد المجتمع وتقطعت أوصال الصلة التي كانت تربط بين الحاكم والمحكوم فى المدينة الصغيرة.

وبعد أن كان الاهتمام ينصرف إلى إسعاد المواطن الحر وتقرير الحقوق التى يجب أن يتمتع بها إذا بهذا الاهتمام يتحول عن المواطن الحر ويتجه إلى خدمة الفكر الحاكم وترتيب مجموعة من الحقوق التى تكفل له السيادة والاستمرار دون التفات إلى حقوق المواطن. وفى هذا ما ينبئ بأن محور المذاهب الفلسفية قد تغير عند الإغريق فى ظل فتوحات الإسكندر ومن جاء بعده من قواد عما كان الأمر عليه فى ظل حكم أثينا الديمقراطية وقدر لهذا التحول أن يستمر فى اتجاهه الجديد بعد أن اضمحل حكم الإغريق وبدأت جحافل الرومان تكتسح كل الجيوش التى تقف فى طريقها وتواصل فتوحاتها فى الشرق والغرب حتى أصبح البحر المتوسط عام (١٨٨ ق.م.) بحيرة رومانية، وما لبثت اليونان عام (١٤٦ ق.م.) أن سقطت صريعة الغزو الرومانى وأمسّت إقليمًا من أقاليم الإمبراطورية الرومانية.

وإذا كانت اليونان قد نعمت ببعض الاستقرار وبمسط من السلام تحت الحكم الرومانى فإنها وجدت فى بادئ الأمر معارضة من جانب الرومان فى تقبل جوانب الحضارة الإغريقية والإفادة من تراثها، وعلى الرغم من أن اللغة اليونانية ظلت لغة الأدب والفنون فإن اللغة اللاتينية وهى لغة الغزاة (الرومان) أصبحت اللغة السائدة والدارجة فى مجال المعاملات فضلا عن أنها لغة القانون الذى فرضه الرومان.

## روما والفلسفة الإغريقية

ما لبثت المعارضة للتراث اليونانى أن خفت على مر السنين وبدأ الرومان يدركون أهمية الحضارة الإغريقية وينهلون من منابعها فى جوانب الفكر المختلفة، ولعل أهم هذه الجوانب التى أفاضوا فى الاستزادة منها الفلسفة الإغريقية وسرعان ما انتقلت إلى روما مدارس الفلسفة الإغريقية التى سادت فى أثينا.

وقد ولع الشباب الرومانى ببعض اتجاهات هذه الفلسفة حتى أثارت انتباه الحكام ومن ذلك مدرسة السوفسطائيين التى انتهت بها الأمر إلى أن طُردت من روما بدعوى أنها تبطل الفكر وتزعزع الرأى وتنشر الفتنة بين الشباب بما تثيره من جدل حول الفكر الحاكم. ويبدو أن روما لم تدرك أن فلسفة أثينا فى ظل عصرها الذهبى الديمقراطى لا يمكن

أن تسود فى ظل حكم الإمبراطورية التى يكاد ينفرد بالسلطة فيها الفرد وينوب عنه فى السلطة نوابه فى الأقاليم.  
وما من شك فى أن هذا الاعتبار هو الذى كان وراء ظهور مذاهب فلسفية جديدة عند الرومان أو التأثر بنوع دون غيره من مدارس الفلسفة الإغريقية فسادت مذاهب (الإبيقوريين والرواقيين والمتشككين).



## الفلسفة فى الحضارة الإسلامية

### الفلسفة الإسلامية (٢٥)

لم ترد تلك الكلمة «الفلسفة» فى الفكر الإسلامى الحنيف سواء فى القرآن أو السنة النبوية ولكن الذى ورد كلمة الحكمة، والحكمة تعنى ما يصدر عن الرسول محمد ﷺ من أقوال أو أفعال، ومع تباعد الزمان والتأثر والتفاعل مع امتداد الدولة الإسلامية بدأ مصطلح الفلسفة كمصطلح عام يمكن تعريفه واستخدامه والتعبير عنه بطرق مختلفة.

فيمكن للمصطلح أن يُستخدم على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص القرآن والأحاديث النبوية يقدم تصور الإسلام ورؤيته حول الكون والخلق والحياة والخالق، لكن الاستخدام الآخر يشمل جميع الأعمال والتصورات الفلسفية التى تم بحثها فى إطار الثقافة العربية الإسلامية، والحضارة الإسلامية تحت ظل الدولة الإسلامية الممتدة والمتراامية الأطراف شرقا وغربا دون أى ضرورة أن يكون مرتبطا بحقائق دينية أو نصوص شرعية إسلامية، وفى بعض الأحيان تقدم الفلسفة الإسلامية على أنها كل عمل فلسفى قام به فلاسفة مسلمون وجميع تلك الأعمال الفلسفية يمكن أن تقدم رؤية شاملة لكل جوانب الفلسفة فى ظل الحضارة الإسلامية.

### مفهوم الفلسفة فى الإسلام

الكلمة الأقرب لكلمة فلسفة هى كلمة «حكمة» وهى مستخدمة فى النصوص الإسلامية الأساسية القرآن والسنة النبوية لهذا نجد الكثير من الفلاسفة المسلمين يستخدمون كلمة «حكمة» كمرادف لكلمة «فلسفة» التى دخلت إلى الفكر العربى الإسلامى من الكلمة يونانية الأصل كما سبق ذلك وبيننا ذلك فى بيان الحضارة الإغريقية.

وللفلسفة تعريفات عدة عند فلاسفة المسلمين منها ما ذكره الكندى: «إنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان لأن غرض الفيلسوف فى علمه إصابة الحق وفى عمله العمل بالحق»، وإن ظلت كلمة فلسفة ضمن سياق الحضارة الإسلامية بقيت متأثرة بمفاهيم الفلسفة اليونانية، وعندما نحاول أن نتحدث عن فلسفة إسلامية كتصور كونى وبحث فى

طبيعة الحياة فإنها تشمل معها المدارس الأخرى تحت المسميات: علم الكلام وأصول الفقه وعلوم اللغة.

وأهم ما يواجه الباحث في مجال الفلسفة أن كلا من هذه المدارس قد قام بتعريف الحكمة أو الفلسفة وفق رؤيته واهتماماته الخاصة، وفي مراحل لاحقة أدخل (التصوفية) ولعل الباحث المدقق يلاحظ التشابه في النطق بين كلمة الصوفية التي دخلت إلى العربية وكلمة سوفوس (Sophos) الإغريقية وهذه الكلمة حينما دخلت إلى العربية أصبح معناها الزهد في الحياة.

وكثيرا ما استخدم العديد من أعلام الصوفية لقب (حكيم) لكبار شخصياتهم مثل الحكيم الترمذى بينما لقب فيلسوف - فلاسفة ظل حصرا على من عمل في الفلسفة ضمن سياق الفلسفة اليونانية ومن هنا كان أهم جدل حول الفلسفة في كتابي: (تهافت الفلاسفة للغزالي) و(تهافت التهافت لابن رشد).

و تغيرَ النظر إلى مفهوم الفلسفة تبعا لتنوع الأجوبة على سؤال «ما الفلسفة؟» الذي قد يتحول نتيجة بزوغ فرع آخر في الفلسفة وهو فلسفة الفلسفة أو فقه الفلسفة وكذلك تصنيف الفلسفة إلى فلسفة قديمة (فلسفة في الوجود) وأخرى جديدة (فلسفة في المعرفة).

### بدايات الفلسفة الإسلامية

إذا تم اعتبار الفلسفة أنها محاولة بناء تصور ورؤية شمولية للكون والحياة فإن بدايات هذا الفكر في الحضارة الإسلامية بدأ مبكرا في الدولة الإسلامية بعلم الكلام، وفي القرن التاسع عندما أصبح المسلمون على اطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة أدى ذلك إلى نشوء رعييل من الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يختلفون عن علماء الكلام، وعلم الكلام يستند على النصوص الشرعية من قرآن وسنة وأساليب منطقية لغوية لمواجهة من يحاول الطعن في حقائق الإسلام، في حين أن الفلاسفة المشائين وهم الفلاسفة المسلمين الذين تبنا الفلسفة اليونانية كان مرجعهم الأول هو التصور الأرسطي أو التصور الأفلوطيني الذي يعتبرونه متوافقا مع نصوص وروح الإسلام من خلال محاولتهم لاستخدام المنطق لتحليل ما اعتبروه قوانين كونية ثابتة ناشئة من إرادة الله وقاموا بمحاولات توفيقية لتقليل الهوة الموجودة في التصور لطبيعة الخالق بين المفهوم الإسلامي للرب والمفهوم الفلسفي اليوناني للمبدأ الأول أو العقل الأول.

تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة دراسة المسائل التي لا تثبت إلا بالنقل والتعبّد إلى مرحلة دراسة المسائل التي ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية، ولكن النقطة المشتركة عبر هذا الامتداد التاريخي كان معرفة الله وإثبات الخالق، وبلغ هذا الاتجاه الفلسفي منعطفًا مهما على فكر ابن رشد من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة، وأول من برز من فلاسفة العرب كان الكندي الذي يُلقب بالمعلم الأول عند العرب والفارابي الذي تبنى الكثير من الفكر الأرسطي من العقل الفعال وقدم العالم ومفهوم اللغة الطبيعية.

أسس الفارابي مدرسة فكرية كان من أهم أعلامها : الأميري والسجستاني والتوحيدى، وكان الغزالي هو من أقام صلحا بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساليب المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومنفصلة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية (ميتافيزيقا - علم ما وراء الطبيعة metaphysics) توسع الغزالي في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه لكنه وفي المقابل شن هجوما على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين في كتاب «تهافت الفلاسفة» ، ورد عليه لاحقا ابن رشد في كتاب تهافت التهافت.

وكان هناك اتجاه يرفض الخوض في مسائل البحث في الإلهيات وطبيعة الخالق والمخلوق والاكتفاء بما هو وارد في نصوص الكتاب والسنة، هذا التيار الذي يُعرف «بأهل الحديث» والذي يُنسب له معظم من عمل بالفقه الإسلامي، وهناك بعض التيارات التي ترى أنه لا يوجد فلاسفة للإسلام ولا يصح إطلاق هذه العبارة فالإسلام له علماءه الذين يتبعون الكتاب والسنة أما من اشتغل بالفلسفة فهو من المبتدعة والضلال.

وفي مرحلة متأخرة من الحضارة الإسلامية ظهرت حركة نقدية للفلسفة أهم أعلامها : ابن تيمية الذي يُعتبر أنه معارض تام للفلسفة وأحد أعلام مدرسة الحديث الراضة لكل عمل فلسفي.

لكن محاولة ابن تيمية وردوده على أساليب المنطق اليوناني ومحاولته ببيان علاقته بالتصورات الميتافيزيقية اعتبرها بعض الباحثين العرب المعاصرين بمثابة نقد للفلسفة اليونانية وليس لكونه مجرد رافضا لها حيث إن نقده مبنى على دراسة عميقة لأساليب المنطق والفلسفة ومحاولة لبناء فلسفة نوعية جديدة.

## التناقض مع الفلسفة اليونانية



رسم عربى يعود للقرن الثالث عشر  
يصور سقراط فى نقاش مع تلاميذه

كان مفهوم الخالق الأعظم لدى الفلاسفة اليونانيين يختلف عن مفهوم الديانات التوحيدية؛ فالخالق الأعظم فى منظور أرسطو وأفلاطون لم يكن على اطلاع أو علم بكل شىء ولم يظهر نفسه للبشر عبر التاريخ ولم يخلق الكون وسوف لن يحاسبهم عند الزوال وكان أرسطو يعتبر فكرة الدين فكرة لا ترتقى إلى مستوى الفلسفة.

وكما سبق وتم بيان ذلك فى الفلسفة الإغريقية - اليونانية فإن الفلسفة اليونانية القديمة تكونت فى مرحلتين:

الأولى: مرحلة ما قبل سقراط التى اتسمت برفضها للتحليلات التقليدية للظواهر الطبيعية.

وكان نوع التساؤل فى حينها (من أين أتى كل شىء؟) وهل يمكن وصف الطبيعة باستعمال قوانين الرياضيات؟ وكان من أشهر هؤلاء عالم الرياضيات «طاليس» الذى يعتبره البعض أول فيلسوف يونانى حاول إيجاد تفسيرات طبيعية للكون والحياة لا علاقة لها بقوى إلهية خارقة حيث قال إن الزلازل ليس من صنعة إله وإنما بسبب كون الأرض اليابسة محاطة بالمياه، وكان الفيلسوف أناكسيمندر من ضمن هذا الرعيل وكان يؤمن بالقياسات والتجربة والتحليل المنطقى للظواهر وكان يعتقد أن بداية كل شىء هى كينونة لا متناهية وغير قابلة للزوال وتتجدد باستمرار، ومن الفلاسفة الآخرين فى هذا الجيل: بارمنيدس، ديمقراطيس، أناكسيمين، وميلتوسى.

والثانية: مرحلة سقراط وما بعده التى تميزت باستعمال طريقة الجدل والمناقشة فى الوصول إلى تعريف وتحليل وصياغة أفكار جديدة وكان هذا الجدل عادة ما يتم بين طرفين يطرح كل طرف فيهما نظرتيه بقبول أو رفض فكرة معينة وبالرغم من أن سقراط نفسه لم يكتب شيئاً ملموساً فإن طريقته أثرت بشكل كبير فى كتابات تلميذه أفلاطون ومن بعده أرسطو.

ومن وجهة نظر أفلاطون فإن هناك فرقا جوهريا بين المعرفة والإيمان فالمعرفة هي الحقيقة الخالدة، أما الإيمان فهو احتمالية مؤقتة أما أرسطو فقد رأى أنه لمعرفة وجود شيء ما علينا معرفة سبب وجوده أو كينونته، فكرة الخالق الأعظم حسب أرسطو فكرة التكامل والمعرفة على عكس فكرة المخلوق الباحث عن الكمال ولتوضيح فكرته أورد أرسطو مثال التمثال وقال إن هناك أربعة أنواع من أسباب وجود التمثال أسباب مادية مردها إلى المادة التي صُنعت منها التمثال. أسباب غرضية مردها إلى الغرض الرئيسي من صنع التمثال أسباب حرفية مردها الشخص الذي قام بصنع التمثال. أسباب إرضائية مردها الحصول على رضا الشخص الذي سيشتري التمثال.

استفاد أرسطو من نظرية سقراط القائلة بأن كل شيء غرضه مفيد لا بد أن يكون نتيجة لفكرة تتسم بالذكاء، واستنادا إلى هذه الفكرة استنتج أرسطو أن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات وإن هذه الكينونة الثابتة هي التي حولت الثبات إلى حركة، وهذه الكينونة الأولية هي انطباع أرسطو عن فكرة الخالق الأعظم لكن أرسطو لم يتعمق في كيفية وغرض منشأ الكون من الأساس.

### الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية المبكرة

في العصر الراقي للدولة العباسية وتحديدًا في عصر المأمون بدأت الترجمة ونقل العلوم الإغريقية إلى العربية مما مهد لانتشار الفكر الفلسفي اليوناني بشكل كبير وكانت المدرسة الفلسفية الأكثر شيوعًا هي المدرسة الأفلاطونية التي كان لها أكبر الأثر في الساحة الإسلامية في ذلك الوقت.

وقد حاولت الفلسفة الأفلاطونية المحدثّة التي أحدثها أفلاطون الدمج بين الفكر الأرسطي والأفلاطوني والتوفيق بينهما ضمن إطار معرفي واحد وتصور وحيد لعالم ما تحت القمر وما فوق القمر، والأفلاطونية المحدثّة أيضًا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمفاهيم التي تتوافق مع بعض أفكار الديانات الشرقية القديمة وتجلت في أفكار أخوان الصفا في رسائلهم والتي شكلت الإطار الفكري المرجعي للفكر الباطني أو الغيبي.

ولاحقًا بدأت تظهر من جديد عملية فصل للمدرستين الأفلاطونية والأرسطية حيث ظهر

العديد من المتأثرين بقوة ببناء النظام الفكرى الأرسطى وقوة منطقهِ واستنتاجهِ ، وكان من أهم شارحي وناشري المدرسة الأرسطية هو ابن رشد.

## الهرمسية والأفلاطونية المحدثة

أول ما وُجد في منطقة الشرق الأدنى سوريا والعراق ومصر بعد دخول الإسلام من دراسات فلسفية كانت الثقافة التي تسيطر عليها الأفلاطونية المحدثة إضافة إلى الهرمسية التي كانت مختلطة بجماعات الصابئة في حران وأفكار المانوية والزرادشتية ، وتشكل الهرمسية والأفلاطونية المحدثة مجموعة رؤى هرمسية وإطار فلسفى لرؤية كونية.

تنتسب الهرمسية كعلوم وفلسفة دينية إلى هرمس مثلث الحكمة الناطق باسم الإله وبشكل عام تقدم الرؤية الهرمسية تصورا بسيطا عبارة عن إله متعال منزه عن كل نقص ولا تدركه الأبصار ولا العقول ، وفى مقابله توجد المادة وهى أصل الفوضى والشر ، وأما الإنسان فهو مزيج جسم مادى يسكنه الشر ويلاهبه الموت وجزء شريف أصله من العقل الكلى الهادى وهو النفس الشريفة ويتصارع فى الإنسان الجزءان.

## فلسفة أرسطو والترجمة العربية



رسم من القرون الوسطى لـ أرسطو.

لم يدخل أرسطو إلى الساحة العربية الإسلامية إلا بعد حملة الترجمة التي تمت فى فترة الحاكم العباسى المأمون ، وتذكر المصادر أن أول كتاب تمت ترجمته لأرسطو كان كتاب «السماء والعالم» من قبل يوحنا بن البطريق عام ٢٠٠ هـ لكن حنين ابن إسحاق اضطر إلى إعادة ترجمته عام ٢٦٠ هـ ويمكن اعتبار بداية دخول أرسطو تمت على يد حنين وابنه إسحاق سنة ٢٩٨ هـ أما أرسطو المنحول غير الحقيقى فقد دخل عن طريق كتاب «أتولوجيا» الذى ترجمه ابن ناعمة الحمصى عام ٢٢٠ هـ ، ويبدو أن ابن المقفع وابنه محمد قد قاما أيضا

بترجمة بعض كتب أرسطو مثل كتاب «الأرغانون» وكتاب «التحليلات الأولى» وكتاب «المنطق لفورفوروريوس» ، ويؤكد بول كراوس أنه لم يتم خلال الفترة الأولى قبل المأمون ترجمة

أى شىء عدا الأجزاء الثلاثة الأولى من الأرخانون التي تتناول المنطق فقط دون الفلسفة والطبيعة لكن حركة الترجمة فى عصر المأمون مدت ذلك لتشمل كتب أرسطو غير المنطقية، وكتاب «التحليلات الثانية» أو «البرهان» لم يُترجم للعربية إلا فى القرن الرابع الهجرى بمعرفة أبى بشر متى عام ٣٢٨ هـ .

## تاريخ الفلسفة فى العالم الإسلامى

### علم الكلام والمعتزلة

علم الكلام كان علما مختصا بموضوع الإيمان العقلى بالله وكان غرضه الانتقال بالمسلم من التقليد إلى اليقين وإثبات أصول الدين الإسلامى بالأدلة المفيدة لليقين بها، وفيما ورد أن بداية علم الكلام سببها ظهور فرق عديدة الرؤى والأفكار وهذه الفرق: المعتزلة، الجهمية (الجبرية) أتباع الجهم بن صفوان، الخوارج، الأشاعرة، الماتريدية، الصوفية، المرجئة، (يأولون بعض الأسماء والصفات) الإمامية، الزيدية، الإسماعيلية، العلوية، الشيعة، الإباضية، سُمى الإباضية بهذا الاسم نسبة إلى (عبد الله بن أباض التميمى) والمؤسس للمذهب الإباضى هو جابر بن زيد.

### دور الكندى فى الفلسفة

هو يعقوب بن إسحاق الكندى (٨٠٥-٨٧٣ م) وقد حاول استعمال المنهج المنطقى.. نشأ الكندى فى البصرة واستقر فى بغداد وحظى برعاية الحاكم العباسى المأمون وكانت اهتمامات الكندى متنوعة: كالرياضيات والعلم والفلسفة، وكان للكندى خطوة إضافية نحو دراسة الفلسفة اليونانية، وفى عصر الحاكم العباسى المعتصم يحاول الكندى أن يخوض فى معركة «نصرة العقل» ضد أفكار الهرمسية والأفلاطونية المحدثة ويؤلف «الرد على الشبهات» ويرفض نظرية الهرمسية والأفلاطونية المحدثة عن وجود جملة من العقول السماوية، ويقرر الكندى أن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية واحدة فلا تناقض بينهما، ويؤلف الكندى «رسالة فى الفلسفة الأولى» ليهدىها إلى المعتصم وهى بمجملها تخطئة لوقف المتكلمين من الأوائل (الفلاسفة) وكذلك الدعوة إلى الاستفادة لما ورد فى علوم الأوائل من علوم مفيدة.

## دور الرازي في الفلسفة



رسم يصور أبو بكر الرازي

تميز الجيل الذي ظهر بعد الكندي بصفة أكثر حزما فكان أبو بكر الرازي (٨٦٤-٩٢٣م) الذي وُصف بكونه ذو تيار فكري يرفض نظرة أرسطو للميتافيزيقا ورفض في الوقت نفسه تحاليل علماء الكلام عن الوحي والنبوة. كان الرازي مقتنعا أن التحليل العقلي والمنطقي هو الطريق الوحيد للوصول إلى المعرفة وعليه فإن الكثير من المؤرخين يعتبرون الرازي الانعطاف الحقيقية الأولى نحو الفلسفة والفيلسوف.

كان الرازي طبيبا بارعا ومديرا لمستشفى في الري في إيران وكان جريئا في مناقشة التيار الفكري الذي سبقه وكان مؤمنا أن الفيلسوف الحقيقي لا يستند إلى تقاليد دينية بل يجب عليه التفكير بمنأى عن تأثير الدين، وكان مقتنعا إن الاعتماد على الدين غير مثمر لاختلاف الأديان في وجهات النظر حول الخلق وماهية الحقيقة.

أكبر نقد تم توجيهه إلى الرازي كان نقدا عميقا بالرغم من بساطته وهو إذا كانت الفلسفة الطريقة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة فماذا عن عامة الناس أو الناس البسطاء غير القادرين على التفكير الفلسفي، هل يعني هذا بأنهم تائهون للأبد؟! تأتي أهمية هذا النقد بسبب كون الفلسفة في المجتمع وإلى هذا اليوم مرتبطة بطبقة النخبة وبأشخاص اتسموا بذكاء عالٍ حسب هذا النقد وهذا كان مناقضا لمفهوم الأمة الإسلامية الواحدة والأفكار الروحية المفهومة من قبل الجميع وليس البعض.

## دور الفارابي في الفلسفة

هو أبو نصر محمد الفارابي (٨٧٤-٩٥٠م) الفيلسوف من تركستان، بدأ الفارابي من نقطة الانتقاد الموجهة للرازي ولللسفة بصورة عامة وكان النقد عبارة عن فائدة الفلسفة في تنظيم الحياة اليومية وذلك للإنسان البسيط الذي يرى الفلسفة شيئا بعيدا كل البعد عن مستوى استيعابه ولا يجد في ذلك النوع من المناقشات أي دور عملي ملموس في حياته

اليومية فحاول الفارابي تضييق حجم الفجوة بين الإنسان البسيط والفلسفة ولذلك يعتبره البعض رائدا في هذا المجال حيث حاول في كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» .



رسم عربي لـ أبو نصر محمد الفارابي

التطرق إلى القضايا الاجتماعية والسياسية، وفي كتاب «الجمهورية» حيث طرح أفلاطون فكرة أن المجتمع المثالي يجب أن يكون قائده فيلسوفا يحكم حسب قوانين العقل والمنطق ويبسطها لتصبح مفهومة من قبل الإنسان البسيط.

ومن هذه الفكرة حاول الفارابي أن يطرح فكرته وهي أن الرسول محمد ﷺ كان بالضبط ما حاول أفلاطون أن يوضحه عن صفات قائد «المجتمع الفاضل» لقدرته حسب تعبير الفارابي على تبسيط قيم روحية عُلِّيا وإيصالها إلى الإنسان البسيط.

بهذه النظرة ابتعد الفارابي عن مفهوم الخالق في الفلسفة اليونانية الذي كان بعيدا كل البعد عن هُوم الإنسان البسيط والذي لم يخاطب الإنسان يوما، ولكن الفارابي ظل ملتقيا مع فكر أرسطو في أن قرار الخلق لم يكن عبثيا ولا متسرعاً.

الكثير من الدراسات تعتبر الفارابي أهم من استطاع إيصال وشرح علوم المنطق بالعربية وفي ظل دول وإمارات إسلامية متفرقة وتحديدًا إمارة الدولة الحمدانية، كان الفارابي يتطلع للتقارب بين الشريعة والفلسفة في كتاب الحروف ويحاول أن يجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون وأرسطو في كتاب الجمع بين الحكيمين وكما تتقارب الفلسفة مع الشريعة كذلك يجب أن تُبنى المدينة الفاضلة على غرار تركيب الكون والعالم بحيث يتحقق النظام والسعادة للجميع.. هذا كان حلم الفارابي المقتبس من فكرة المدينة الفاضلة لأفلاطون.

### مدارس متعلقة بالفلسفة

● صدر الدين الشيرازي وقد أضاف عددا من المسائل الفلسفية من خلال إحدائه لدرسته المسماة الحكمة المتعالية.

## ● المذهب الإسماعيلي.

● الباطنية وهي فرقة كانت الفكرة الرئيسية لها علم الباطن وهو معرفة الأبعاد الخفية للدين وكانت الوسيلة الرئيسية هي التأويل.

● إخوان الصفا وهي جماعة في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وكانت اهتمامات هذه الجماعة متنوعة وتمتد من العلم والرياضيات إلى الفلك والسياسة، وقاموا بكتابة فلسفتهم عن طريق ٥٢ رسالة ذاع صيتها في الأندلس، ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية، تأثرت رسائل إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية وبمن يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدى إلى إصلاحه ويمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر ويُسمَّون بالفضلاء الكرام وهم الملوك والسلطين.

## دور ابن سينا في الفلسفة



رسم فارسي لـ ابن سينا الطبيب الفيلسوف

ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) ولد لعائلة شيعية في إحدى قرى «بخارى»، وقد وصلت الفلسفة الإسلامية إلى إحدى قممها على يد ابن سينا حيث تأثر منذ صغره بفلسفة الفارابي والأفلاطونية المحدثة، أدرك ابن سينا أن الفلسفة بحاجة إلى التأقلم مع متغيرات الدولة الإسلامية، تلك الدولة التي أصبح فيها الحاكم بعيدا كل البعد عن صفات قائد المدينة الفاضلة التي دعى إليها أفلاطون واعتبرها الفارابي مطابقة لصفات الرسول محمد.

كان ابن سينا مقتنعا أن الرسول محمد هو أرفع شأننا من الفيلسوف لكونه معتمدا على الاتصال المباشر بالمعرفة الإلهية، ولكنه كان معاديا لفكرة الإيمان الأعمى حيث كان ابن سينا متأثرا بفكر أرسطو باستعمال العقل والمنطق والأدلة للوصول إلى ماهية الخالق، بل اعتبر ابن سينا استعمال هذه الوسائل واجبة لكي يحرر الإنسان فكره من الخرافة والأساطير.

كان ابن سينا موافقا لفكر أرسطو وهو أن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات وإن هذه الكينونة الثابتة هي التي حولت الثبات إلى حركة، وفي سنواته الأخيرة انكب ابن سينا على كتابة كتابه: «الإشارات» ويمثل مدرسته الفلسفية.

## دور الغزالي في الفلسفة



رسم عربي تخيلي  
لأبي حامد الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١م) بدأ التعمق في فائدة التحليل المنطقي والعقلي الفلسفي من الأساس في إثبات أو نفي الخالق، كان أبو حامد الغزالي باحثا من الطراز الرفيع حيث تولى وهو في الرابعة والثلاثين من عمره إدارة المدرسة النظامية في بغداد.

وكان الهدف الرئيسي للوزير السلجوقي واسمه نظام الملك من هذا التعيين هو قيام أبو حامد الغزالي بالتصدى للفكر الإسماعيلي لكن طموح أبو حامد الغزالي لم يتوقف عند هذه الرغبة الضيقة للوزير السلجوقي حيث إن بحثه عن اليقين المطلق بطبيعة الخالق دفعه إلى التعمق في دراسة

جميع المذاهب الفكرية والتوجهات الفلسفية وانتهى به البحث إلى استنتاج أن جميع الفلسفات والمدارس الفكرية السابقة قد فشلت في إثبات وجود الخالق لكون فكرة الخالق غير خاضعة للقياس من الأساس، وأعلن في كتابه «تهافت الفلاسفة» فشل الفلسفة في إيجاد جواب لطبيعة الخالق وصرح أن الفلسفة يجب أن تبقى مواضيع اهتماماتها في المسائل القابلة للقياس والملاحظة مثل: الرياضيات، الفلك، الطب.. واعتبر أبو حامد الغزالي محاولة الفلاسفة إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم الفلسفة من الأساس.

كان لتعمق الغزالي في دراسة التيارات الفكرية والفلسفية السابقة دورا سلبيا فبدلا من اقترابه نحو اليقين بالخالق زاد اقترابه من الشك وانتهى به الأمر بالإصابة بمرض الكآبة وترك مهنة التدريس.

وكان في تلك الفترة من حياته مقتنعا أن الدليل الوحيد للوصول إلى اليقين بشأن وجود

الخالق هو ملاقاته وجهها لوجه بعد الموت وبدأ الغزالي يقتنع إن هناك جانبا روحيا غير ملموس في الإنسان وأن هناك فصلا واضحا بين: «عالم الشهادة» الظاهر للعين والمحسوس والخاضع لقوانين الفيزياء، و«عالم الملكوت» وهو المعنوي وغير الملموس.

انتهى الغزالي إلى أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرئي من الإنسان لفهم طبيعة الجزء المعنوي وعليه فإن الوسيلة المثلى لفهم الجانب الروحي يجب أن تتم بوسائل غير فيزيائية واختار الغزالي طريق التصوف للوصول إلى اليقين بوجود الخالق أثناء الحياة بدلا من الانتظار إلى ما بعد الموت للوصول إلى تلك الحقيقة.

ويظهر الطابع الصوفي للغزالي جليا في كتابه «مشكاة الأنوار» حيث قال الغزالي إن النور الأعظم من كل نور هو الله (سبحانه وتعالى) وهذا النور أعظم من كل جسم مضى آخر مثل المشكاة والنجوم، وضوء العقل المستنير قادر على عبور حاجز الزمن والقضاء ليرى هذا النور الأعظم وكان الغزالي يقصد بالعقل المستنير العقل القادر على التخيل والتصوير وإدراك أن الجانب الروحي يتطلب نظرة غير حرفية وغير فيزيائية لفهم هذا الجانب.

وبهذا المنظور ألغى الغزالي أي دور للفلسفة في إثبات أو عدم إثبات وجود الخالق من خلال طرحه الفكري أنه لا يمكن استعمال الفلسفة في الوصول إلى اليقين الذي لا يقبل الجدل حول ماهية الله، ففكرة الله كانت حسب نظره واقعة خارج نطاق التفكير المنطقي ولكن هذا التصريح المبني على هذا المنظور لم يكن نهاية الفلسفة حيث قام ابن رشد من قرطبة بإحياء دور الفلسفة في الوصول إلى معرفة الله حيث اعتبر ابن رشد الفلسفة أعلى مراتب التدوين.

## دور ابن رشد في الفلسفة

ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م) من الناحية التاريخية وحول ابن رشد كان هناك خلاف في الفكر بينه وبين المفكرين المعاصرين له.

وقد اعتبره الغرب من أهم الفلاسفة المسلمين على الإطلاق حيث ترجمت أعماله إلى اللاتينية العبرية وأثرت أفكاره بشكل واضح في كتابات الفلاسفة ومنهم توماس أكويناس (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) وألبرت الكبير (١٢٠٦ - ١٢٨٠م) وإرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢م).



لوحة تظهر ابن رشد

من أعمال الفنان الإيطالي أندريا دا فيرنزي (فلورانس القرن الرابع عشر).

بينما لم يلق ابن رشد الاهتمام نفسه من المعاصرين له حيث فضل الفيلسوفان المعاصران له يحيى السهروردي ومؤيد الدين العربي اتباع منهج ابن سينا بدلا من منهج ابن رشد. كان ابن رشد متعمقا في الشريعة الإسلامية بحكم منصبه كقاضى إشبيلية وحاول التقريب بين فلسفة أرسطو والعقيدة الإسلامية، حيث كان ابن رشد مقتنعا أنه لا يوجد تناقض على الإطلاق بين الدين والفلسفة وأن كلاهما يبحث عن الحقيقة نفسها، وقام بالرد على كتاب «تهافت الفلاسفة» للغزالي في كتابه: «تهافت التهافت» وأصر على عكس الغزالي على قدرة الفلسفة بإيصال الإنسان إلى اليقين الذى لا يقبل الجدل حول ماهية الله. ونبه ابن رشد إلى أن الفلسفة وعلم الكلام والصوفية والباطنية وغيرها من التيارات الفكرية تشكل خطرا على الأشخاص الذين ليس لهم القدرة على التفكير الفلسفى وأن الشخص غير المتعمق أو الذى يأخذ بسطح الفكرة يتعرض إلى صراعات نفسية تؤدى به إلى الشك والتشتت بدلا من اليقين والتثبيت.

وفى محاولة ابن رشد لتضييق الفجوة بين الدين والفلسفة طرح ابن رشد رأيه حول أفضل وسيلة لتفسير الدين والخالق من وجهة نظر فلسفية فقال إن على الفيلسوف القبول ببعض الأفكار الدينية لكي يصبح فعالا فى الوصول إلى طبيعة الخالق، ومن هذه الأفكار وجود الله وحدانية الله كون الله فريدا من نوعه «عدالة الله، خلق الله للكون الحياة بعد الموت».



## الفلسفة فى الحضارة الغربية (الأوربية)

يمكن تشبيه تتابع الحضارات بتتابع أدوار البناء وترتكز وتقوم بعضها على بعض وعلى هذا التشبيه فإن أفلاطون وسقراط وأرسطو من الحضارة اليونانية كانوا هم الأعضاء المؤسسين للفلسفة الغربية<sup>(٢٣)</sup>.

### الحضارة الغربية

مصطلح الحضارة الغربية يشير إلى ثقافات القارة الأوربية، وتعود جذور شعوب هذه القارة حسب الاجتهادات التاريخية إلى عدة من آلاف السنين قبل الميلاد حيث تم اكتشاف حرفة الزراعة على ضفاف نهري الفرات ودجلة بالعراق وكذلك حاليا الأردن، ومنها انتشرت إلى القارة الأوربية. والثقافة الأوربية المتطورة ضمن الحدود الجغرافية للقارة بدأت من اليونان ثم قويت وانتشرت على يد الرومان وبعد ذلك تم صياغتها وطُورت خلال عصر النهضة فى القرن الخامس عشر وانتشرت عالميا بفعل الإمبراطوريات الاستعمارية والتي نشرت ثقافة ونمط حياة الأوربيين خلال فترة القرن السادس عشر والقرن العشرين، وتطورت تلك الثقافة لتشمل مجالات متكاملة من الفلسفة، التربية، والتعليم خلال العصور الوسطى ومن تطور الديانة المسيحية بشكل خاص وازدهار العلوم الإنسانية.

وفى القرون التالية كان التطور الجذرى فى طرق التفكير المنطقى وانفتاح العقل والتنوير وظهور مبادئ ومصطلحات جديدة مثل الديمقراطية ورومانسية النظام الاجتماعى. والثقافة الغربية قد تواصلت مع ثقافات أخرى مما أدى إلى تأثير متبادل بين تلك الثقافات.

و«الثقافة الغربية» وهى مجموعة التراث الثقافى من المبادئ الإجتماعية الأخلاقية والعادات والتقاليد المحلية والمعتقدات الدينية والأنظمة السياسية والآثار والأعمال التاريخية والتقنية، تقوم على عدة جوانب:

- النتاج الثقافى لحضارات الإغريق والرومان وعصر النهضة وتشمل الأعمال الفنية والفلسفية والأدبية والقوانين والتقاليد الشعبية والتأثير الثقافى المكتسب من هجرة الجماعات العرقية الأخرى مثل السلاف الألمان العجر وغيرهم من الشعوب وتأثير العالم الإسلامى المباشر فى تلك الثقافات.

- تأثير الثقافة المسيحية الإنجيلية في طرق الحياة اليومية من الإيمان الروحي والأسرة والملبس والمأكل والعادات والتقاليد الشعبية إضافة إلى مبادئ الأخلاق وخاصة في فترة ما بعد العصور الوسطى. كما شكلت حياة وتعاليم يسوع والتي كانت مصادرها الرسمية الكتاب المقدس والوصايا العشرة أساس عقيدة المسيحية وأحد أهم المؤثرات في الحضارة الغربية بمختلف فروعها.
- تأثير ثقافة أوروبا الغربية والتي تشمل التأثير الفني، الموسيقى، الأخلاقي، والعادات المتناقلة شفويا خاصة الرومانسية.

## تطور الحضارة الغربية

في فترة العصور القديمة لم تكن الحضارة الغربية ذات تميز أو أثر، وبحكم أنها تطورت من الشرق الأوسط وبلاد اليونان فإن أثر تلك المناطق كان كبيرا فيها سقطت وبعد فترة ظهر الإسلام وسقطت معظم مناطق الإمبراطورية الرومانية وتراجع تأثير الحضارة اليونانية في الحضارة الغربية.

وتاريخيا لم تكن الحضارة الغربية ثابتة أو مستقرة ومفهوم «ما هو الغرب؟!» نشأ بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية البيزنطية إلى دويلات أصغر، ولاحقا بظهور مفهوم العالم المسيحي وظهور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي الوقت الحاضر الفكرة العامة عن الثقافة الغربية تشمل مفاهيم العالم اليوناني-رومانى، والعالم اليهودى-المسيحي بالإضافة لأفكار عصرى النهضة والتنوير.

## الغرب فى العصور الوسطى

كانت المسيحية الدين السائد فى فترة العصور الوسطى بطابعه «اللاتينى» و«الفرنجى» ذو الديانة الكاثوليكية، حيث كان الشرق على الأورثوذكسية ذات اللغة اليونانية كلغة رسمية وبعد تنصيب شارلمان ملكا على الجزء الغربى عُرفت المنطقة باسم بلاد الفرنجة من قبل جيرانهم البيزنطيين والمسلمين.

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية فى روما كانت معظم الأعمال الأدبية والفنية اليونانية-رومانية فى خطر الزوال وكانت محصورة فى حدود منطقة إيطاليا مما يجعلها مركز الغرب الجديد إذ عانت أوروبا من الانقسام السياسى وظهور الممالك والإمارات،

وتحت سلطة المَلِك ظهر نظام الإقطاعية كمظهر من مظاهر ذلك العصر وقد نُصِب شارلمان إمبراطورا على الروم من قبل البابا عام (٨٠٠ م) ، وتخلل فترة حكم شارلمان ظهور أفكار النهضة وإحياء الفن والدين والأدب في مركز الكنيسة الكاثوليكية عبر سياسة شارلمان الداخلية والخارجية ، وساعد هذا الاتجاه على إعادة تشكيل الغرب وإضافة السمات المميزة للعصور الوسطى. وقد عُرف شارلمان من قبل الفرنسيين باسم «شارل الأول» وفي ألمانيا باسم «كارل الأكبر» ، ورأس شارلمان الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وبإعادة الإمبراطورية الرومانية الغربية للحياة من جديد شكلت خطرا على جارتها الشرقية القسطنطينية وتوترت العلاقة بين القسطنطينية وروما.

والكثير من الأسس الثقافية (الفلسفية) للعالم ما قبل الرومانى كانت موضوعة قبل سقوط إمبراطورية روما القديمة وقد تم إعادة تشكيلها من قبل المسيحية حيث حلت المسيحية مكان ديانات روما الوثنية في القرنين الخامس والسادس وأصبحت الدين الرسمى للإمبراطورية وذلك بعد تعميم الإمبراطور قسطنطين الأول وكان ذلك سببا في توحيد أبناء شعب الإمبراطورية الغربية.

أصبحت العلوم والفنون والأدب تدرس حصرا في الكنيسة مما شكل أحد أسباب عدم اندثارها، وأسست الكنيسة العديد من الأديرة والكاتدرائيات والجامعات ومدارس علم اللاهوت في فترة القرون الوسطى والعديد منها قد بقى حتى الوقت الحاضر وفي ذلك الوقت كانت الكنيسة هي الوسيلة للعديد من الرجال للوصول إلى السلطة ولمراكز القوة مما يدل على تأثير سلطة الكنيسة الواسع في أوروبا آنذاك.

وفى ظل تطور فلسفة العقل فى اليونان وتأثير الديانات التوحيدية فى بلاد الشام وخاصة الإسلام بدأت قوة العالم الإسلامى الثقافية تؤثر فى أوروبا، وبعد انحسار الاهتمام بالعلوم والآداب اليونانية فى أوروبا خاصة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وفى البقاع التى اعتنقت المسيحية سابقا لكنها لم تكن تحت سلطة الإمبراطورية مثل إيرلندا قام الإمبراطور الشرقى جستنيان الأول آخر الأباطرة الشرقيين الذين تكلموا اليونانية كلغة رسمية بإغلاق الأكاديمية عام (٥٢٩م)، تلك الأكاديمية التى تهتم بالعلوم والآداب حيث يُتخذ عادة هذا التاريخ كنهاية العصور القديمة.

وقد تمت المحافظة على التاريخ القديم الكلاسيكى من الإمبراطورية البيزنطية وخاصة فى العاصمة القسطنطينية والتى صمدت لألف عام وذلك قبل سقوطها بيد الأتراك العثمانيين

وتم الحفاظ على العمل بقانون جستنيان وخاصة في إدارة العلاقات التجارية والسياسية بين القسطنطينية ودول وممالك الغرب مثل البندقية.

وتم الحفاظ على الثقافة اليونانية والتوسع بها حتى بعد ازدهار الثقافة الإسلامية والتي حلت تدريجيا محل التأثير الروماني- البيزنطي في مناطق البحر المتوسط وشمال إفريقيا وإيبيريا، وقد امتدت حتى حدود اليونان وأصبحت هي الثقافة المسيطرة على تلك المنطقة في مناطق العالم الغربي البعيدة.

وتمت إعادة الاعتبار للثقافات اليونانية والرومانية القديمة خاصة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وذلك من قبل بعض المؤرخين ودعاة الدين المسيحي الإيرلنديين مثل القديس كولومبا عن طريق نشر الدين المسيحي والتعاليم باللغة اللاتينية خلال أوائل فترة العصور الوسطى، وبفضل البيزنطيين والمسلمين أواخر فترة العصور الوسطى ومن خلال عصر النهضة. وبعد اكتشاف العالم الجديد للمكتشف كريستوفر كولومبوس وإعادة العمل بقانون جستنيان في العالم الغربي خلال القرن العاشر ازداد الاهتمام بدراسة القانون مما شكل أحد مظاهر إعادة ترسيم الحدود بين الغرب والشرق، وأصبح القانون الروماني أساسا لكل مفاهيم القوانين والأنظمة في مناطق حكم الفرنجة والكنيسة الكاثوليكية وتأثير ذلك يبدو واضحا حتى الوقت الحاضر وتم تشكيل مفاهيم الحقوق المدنية والتساوي بين الأفراد والمساواة بين الجنسين، والديمقراطية واعتبارها أساس للقوانين في العالم الغربي.

ولم يتأثر الغرب في نشر المسيحية وبفضل الحضارة الإسلامية التي حفظت جزء كبير من الثقافات القديمة لمناطق الشرق الأوسط، الهند، الأندلس، فارس، روما وحضارة الإغريق والتي اقتبست منها خلال الحملات الصليبية على بلاد الشام وتم ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى اللغة اللاتينية خلال العصور الوسطى وكذلك العلوم ورأسها الرياضيات والفلك، وبعد فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية البيزنطية من قبل الأتراك العثمانيين تمت هجرة العديد من المسيحيين اليونان إلى مدن وممالك مثل البندقية حاملين معهم العديد من آثار الثقافة البيزنطية وتعلموا اللغة والأدب والعلوم اليونانية وكان تأثير الثقافتين العربية واليونانية أساسا من أسس بدء عصر النهضة وخلال فترة القرن الخامس عشر والسابع عشر تم انتشار الثقافة الغربية في كل أرجاء العالم وذلك خلال فترة عصر الاستكشاف وبعدها تأثير الإمبريالية (Imperial - الملكية) في فترة القرنين الثامن عشر والعشرين.

## فلسفة القرون الوسطى

فلسفة العصور الوسطى هي الفلسفة التي كانت في أوروبا في حقبة ما يُعرف الآن باسم القرون الوسطى أو العصور الوسطى، في الفترة الممتدة تقريبا من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي حتى عصر النهضة في القرن السادس عشر، وقد تشكلت تلك الفلسفة جزئيا من عملية إعادة اكتشاف ثقافة عريقة في اليونان ومنها إلى روما في الفترة الكلاسيكية وبسبب الحاجة إلى معالجة المشاكل اللاهوتية والعقيدة المقدسة لدمج التعلم مع العلمانية، وينقسم تاريخ الفلسفة في القرون الوسطى إلى فترتين رئيسيتين: ● فترة في الغرب اللاتيني التالية للعصور الوسطى المبكرة وحتى القرن الثاني عشر حيث تم الحفاظ على أعمال أرسطو وأفلاطون.

● وفترة «العصر الذهبي» القرن الثاني عشر ثم القرنين الثالث عشر والرابع عشر في الغرب اللاتيني الذي شهد ذروة انتعاش الفلسفة القديمة والتطورات الكبيرة في مجال الفلسفة والمنطق والدين والميتافيزيقا، وتلك الفترة هي فترة العصور الذهبية بالنسبة للمسلمين والعصور المظلمة كما يسميها الغرب بالنسبة لهم وهي عصور القرون الوسطى.

## فلسفة النهضة

في تلك الفترة فلاسفة أوائل من المفكرين المسيحيين أرادوا فهم طبيعة القانون وعلاقته بالكنيسة ومن هؤلاء أرينيوس، ليون، تيرتوليان، أوريجن أمبروز. وكان لأوغسطين التأثير الأكبر حيث كتب العديد من النصوص.

في القرن الثالث عشر كانت أعمال أرسطو قد أصبحت مؤثرة مرة أخرى وكان توماس الأكويني من مؤسسي الفكر الأرسطوطاليسي وكتب في الميتافيزيقا الأرسطوطاليسية وفلسفة طبيعة الوجود والله التي تعرف نفسه كخالق كل الكائنات.

## فلسفة عصر التنوير

عصر التنوير ويسمى عصر الأنوار (بالفرنسية: Siècle des Lumières) مصطلح يشير إلى القرن الثامن عشر في الفلسفة الأوروبية والذي ظهر فيه مفكرون وفلاسفة الأنوار. المصطلح يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية سُميت بالتنوير وقامت بالدفاع عن العقلانية ومبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة بدلا من الدين، ومن هنا فإن ذلك

العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانية ورواد هذه الحركة كانوا يعتبرون مهمتهم قيادة العالم إلى التطور والتحديث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة زمنية يدعوها «بالعصور المظلمة» (القرون الوسطى).

ولكن ما هو عصر التنوير؟! أجاب إيمانويل بقوله: «إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد» كما عرّف القصور العقلي على أنه «التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك في الحياة أو اتخاذ أى قرار بدون استشارة الشخص الوصى علينا».

ومن هذا المنظور جاءت صرخته التنويرية لتقول: «أعملوا عقولكم أيها البشر! لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب تحركوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر فالله زودكم بعقول وينبغي أن تستخدموها».

لكن كانط لم يفهم التنوير نقيضا للإيمان أو للاعتقاد الديني وإنما شدد على أن «حدود العقل تبندئ عند حدود الإيمان» كما حذر من الطاعة العمياء للقادة أو لرجال الدين كما حدث في دولة بروسيا لاحقا.

وفي نهاية القرن الخامس عشر ظهرت تغييرات جذرية وبدأت تظهر في الأدب وهي عبارة عن اتجاهات تطالب بالانغماس في مباحج الحياة كما ظهرت تغييرات جديدة في الوسائل والأسلوب أدت إلى ظهور الروح الخلاقة في الفن الفرنسي الذي وُلد في فترة تكوّن الحكومات المطلقة في أوروبا وتاليا في فترة تركيز الحكم المطلق في فرنسا نفسها.

## عصر التنوير والثورات

كان عصر التنوير وما أنتجه من أفكار وضعية وعقلانية ملهما لعدد من الثورات الاجتماعية والسياسية شهدتها أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أسفرت عن قيام الدولة الحديثة وقد ارتكز قيام هذه الدولة على أنظمة سياسية بديلة من أنظمة القرون الوسطى حيث قامت هذه الأنظمة بانتزاع الصفة الإلهية عن سلطة الملوك فاصلة الدين عن الدولة.

وشكلت هذه الحركة أساسا وإطارا للثورة الفرنسية ومن ثم للثورة الأمريكية وحركات التحرر في أمريكا اللاتينية واتفاقية ٣ مايو في كومونولث (بولوني - ليثوانى) ، كما مهدت

هذه الحركة بالتالى لنشوء الرأسمالية ومن ثم ظهور الاشتراكية كما شهدت بروز حركة توحيد العلوم التى تضمنت الإيجابية المنطقية.

ومن أعلام التنوير الفلاسفة والمفكرين فولتير وجان جاك روسو وديفيد هيوم وجميعهم قاموا بمهاجمة مؤسسات الكنيسة والدولة القائمة، وشهد القرن الثامن عشر صعود نجم الأفكار الفلسفية التجريبية وتطبيقها على الاقتصاد السياسى والعلوم والحكومات كما كانت تطبق فى الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء.

ومن أهم أعلام التنوير فى بريطانيا فرانسيس بيكون المحامى الإنجليزى الذى طالب بالاعتماد على منهج علمى جديد يقوم على أساس من التجربة، وبشر ببيكون بحالة جديدة تتحقق فى المستقبل عندما تصبح المعرفة مصدر القوة التى تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة، كذلك إسحاق نيوتن عالم الرياضيات والفيزياء الذى قال بأن العالم يسير حسب مجموعة من القواعد الطبيعية تحكمها قوى وعوامل الجاذبية، وأكد نيوتن أن فى استطاعة الإنسان إذا اعتمد على نور العقل تفسير الظواهر الطبيعية وإدراك دوره فى العالم المجهول.

### الفلسفة الغربية<sup>(٢٧)</sup> الحديثة

فى بداية العصور الحديثة بدأ الصراع بين الغرب والشرق يضعف، وبدأ الأوروبيون بالتواصل مع شعوب العالم الأخرى والمفهوم القديم للعالم الغربى تغير حتى وصل لوضعه الحالى وبدأ عصر الاستكشاف، وفى القرنين السادس والسابع عشر سار الأوروبيون إلى عصر التنوير وذلك حتى أواخر القرن الثامن عشر وقد تميز هذا العصر بتطور قدرات الأوروبيين العسكرية وصناعة الأسلحة وجعل هذا التطور العالم الغربى موطناً للعلوم وقيام الثورات الصناعية والتقنية وانتشرت أنظمة السياسة الغربية حول العالم.

وفى بداية القرن التاسع عشر بدأ ما يسمى بـ «عصر الثورات» (Age of Revolution) وظهور الإمبراطوريات العالمية والتقدم التقنى والعلمى الهائل وما صاحب ذلك من سيطرة استعمارية وما صاحبها من صراعات دموية فى شتى بقاع الأرض التى امتدت حتى القرن العشرين.

وباكتشاف أوروبا للعالم كله تغيرت بعض المعالم الجغرافية فبعد أن كان العالم الإسلامى معروفاً بكونه يمثل «الشرق» أصبح يُعرف بمصطلح «الشرق الأدنى» وذلك بعد اكتشاف

الأوروبيين مناطق مثل الصين في فترة حكمها من قبل سلالة تشينغ واليابان المحكومة من قبل حكومتها المستنيرة خلال القرن التاسع عشر.

وخلال فترة الحرب اليابانية الصينية الأولى بين عامي (١٨٩٤م - ١٨٩٥م) تم تحديد مصطلح «الشرق الأقصى»، وبسقوط الإمبراطورية العثمانية في تلك الفترة حُدد معنى «الشرق الأدنى»، ومصطلح «الشرق الأوسط» استعمل أواسط القرن التاسع عشر شاملا مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية السابقة ومناطق مثل غرب الصين وشبه القارة الهندية وفارس العظمى لكن في الوقت الحاضر يماثل مصطلح «الشرق الأدنى».

بعد زوال الإمبراطوريات الغربية السابقة كانت الديمقراطية وحرية التعبير أحد مميزات الحضارة الغربية الحالية والتي تميزهم عن جيرانهم الشرقيين، وتطورت فكرة فصل الدين عن الدولة أواخر العصور الوسطى وفي بدايات العصور الحديثة مما مكن من عملية فصل سلطات الدولة بعضها عن بعض الأمر الذي جعل الديمقراطية بمفهومها الغربي مختلفة عن باقي الديمقراطيات بشكل عام.

ويقوم المجتمع الغربي بتشجيع الأفراد على الابتكار والإبداع والتعبير عن آرائهم بحرية مما أدى إلى تطور العلوم والفنون والثقافة وكذلك تشجيع الرأسمالية وذلك في كل الدول الغربية تقريبا، وتبنت الحكومات الغربية نموذج المجتمع الاقتصادي الحر والرأسمالي وتعد الأحزاب السياسية.

وقد أثرت معظم العناصر المكونة للثقافة الغربية في ثقافات العالم أجمع وتحت تأثير الثقافات الغربية قامت شعوب العالم الغربية وغير الغربية بإرفاق مصطلح «الحداثة» (modernization) أي تبني التطور العلمي والتقني ومصطلح «التغريب» (westernization) أي تبني الثقافة الغربية.

ومن الخصائص الثقافية والفنية التي ميزت الحضارة الغربية من حيث الشكل والأصل الرقص، الموسيقى، الفنون، البصرية، القصص، الروايات، فن العمارة، العلوم الإنسانية، وكلها قد تم التعبير عنها بطرق مميزة لهذه الحضارة.

وتطور فن العمارة في الغرب حيث طُور الفن الإغريقي والروماني من حيث استعمال الأعمدة والمداخل القديمة في العمارة الحديثة، وطُور الفن الرومانسكي والقوطي والباروكي والفيلكتوري وظل مستعملا حتى الوقت الحالى.

## أصل الفلسفة الغربية الحديثة

نشأت المسيحية من جذور مشتركة مع اليهودية وتعرضت للاضطهاد من قبل الإمبراطورية الرومانية، لكنها أصبحت في عام (٣٨٠م) الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية فشاركت بشكل معقد في السياسة الأوروبية ولا يزال تأثيرها السياسي راسخ حتى اليوم في العالم الغربي.

وكانت تعاليم يسوع (المسيح) والوصايا العشرة مصدرا للقوانين الغربية وذات تأثير أخلاقي في الفكر والفلسفة الغربية وشكلت تلك التعاليم والكتاب المقدس حجر أساس للحضارة والفلسفة الغربية ومنها تلك الفلسفة لمفاهيم عدة مثل حقوق الإنسان ورفض الطلاق وسفاح المحارم.

كما أثرت المسيحية في العديد من جوانب المجتمع مثل التعليم والفنون واللغة والحياة السياسية والقانون والأسرة والموسيقى وطريقة التفكير الغربية وكل ذلك مما يقارب ألفى سنة من تاريخ العالم الغربي وقد تم تأسيس العديد من الجامعات في العالم من قبل الكنيسة والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية، وكذلك كان للمسيحية دور رائد في رعاية وتطوير العلوم ولها تأثير واضح في العمارة فقد أنتجت الكاتدرائيات التي لا تزال قائمة بين مآثر وروائع الهندسة المعمارية الأكثر شهرة في الحضارة الغربية.

وفي العصر الحديث تراجعت الديانات في أوروبا الغربية وظهرت حركات اللاأدرية الإلحاد حيث تقريبا (١٨,٢٪) من سكان الدول الغربية لا يتبعوا ديانة واتبعوا تلك الحركات فشكّلوا نسب من سكان دول المملكة المتحدة (٢٥٪) ألمانيا (٢٥-٣٣٪)، فرنسا (٢٢ - ٣٥٪)، وهولندا (٣٩ - ٤٤٪) في حين أن في الولايات المتحدة حافظت الديانة على وجودها القوي فشكّل المتدينون نسبة (٧٥ - ٨٥٪) من سكان البلاد كما هو الحال في معظم دول أمريكا اللاتينية ومع ذلك فلا تزال الديانة المسيحية هي الديانة السائدة في العالم الغربي ولا يزال غالبية الأوروبيين يُعرفون أنفسهم أنهم مسيحيون حيث يشكل معتنقي الديانة المسيحية في أوروبا حوالي (٧٥,١٨٪) وفي أمريكا الشمالية (٨٥٪) وفي أمريكا الجنوبية (٩٣٪).

والسمة المميزة للثقافة الغربية التركيز على العلوم والتكنولوجيا وقد تم التقدم في مختلف العلوم وأهمها علم التفاضل (لمحة عن أثره لاحقا في مبحث الرياضيات والذكاء) <sup>(٢٨)</sup> وعلوم

الميكانيكا وميكانيكا الكم والنظرية النسبية والديناميكا الحرارية والميكانيكا الإحصائية والاكتشافات والاختراعات فى الكهرومغناطيسية وتشمل قانون كولوم (١٧٨٥م) البطارية الأولى (١٨٠٠م)، وحدة الكهرباء والمغناطيسية (١٨٢٠م)، قانون أوم (١٨٢٧م)، ومعادلات ماكسويل (١٨٧١م) وتم كشف النقيب عن: الذرة، النواة، الإليكترون، وكل تلك العلوم من قبل الغربيين. كان الغرب أول من اكتشف قوة البخار وقام بتطويرها وتكييفها واستخدامها فى المصانع وتوليد الطاقة الكهربائية واختراع المحرك الكهربائى الدينامو والمحولات والضوء الكهربائى ومعظم الأجهزة الكهربائىة المألوفة، وكان المحرك الرباعى الأشواط ومحرك ديزل من المنتجات التى نشأت وتطورت فى وقت مبكر فى العالم الغربى. وتستمد المفاعلات النووية تاريخها وعملها من المفاعل النووى الأول الذى سُيد فى شيكاغو فى عام ١٩٤٢م.

وتم ابتكار العديد من المواد عن طريق الغربيين مثل الألمنيوم، الخرسانة، الزجاج، المطاط الصناعى، الماس الصناعى، البولى بروبيلين، ومعظم عناصر الكيمياء والعديد من المواد بالغة التعقيد والتكريب وكذلك تشييد الجسور وناطحات السحاب والقاطرة والدراجات والسيارات والطائرات والنظارات والتليسكوب والكمبيوتر والمجهر الإلكتروني وأنواع التسلسل اللونى والبروتين والحمض النووى ومختلف أنواع الأشعة والتصوير المقطعى والرنين المغناطيسى وكلها تم تطبيقها فى المختبرات والمستشفيات والمصانع الغربية. وتم اختراع جميع أجهزة الاتصالات وأنظمتها الهاتف والإذاعة والتليفزيون، والهاتف المحمول وشبكة الإنترنت كل ذلك من قبل الغربيين ومن قبل وسائل الملاحة البحرية الحديثة بالإضافة إلى اكتشافات مثل: القلم الرصاص، آلة تصوير مستندات، طباعة الليزر والبلازما، وشبكة الويب العالمية.

وتم للغربيين استكشافاتهم من الكرة الأرضية فهم أول من أبحر حول الأرض (١٥٢٢م) وكذلك أول من تطأ قدماه القطب الجنوبي (١٩١١م) أول إنسان يهبط على سطح القمر (١٩٦٩م) وما تلا ذلك من أبحاث الفضاء.

وهذه هى الفلسفة الحديثة للغرب المتقدم الذى عرف الطريق من خلال لغة فلسفة العلم والمنهجية المتعلقة به، تلك اللغة التى تترجمها لغة البحث العلمى والتجريب المعملى فوصلت تلك الفلسفة بالغرب إلى الفضاء واقعا وليس وهما وخذاعا كلغة الفلسفة الكلامية.

## نتاج الفلسفة الحديثة

### • الفلسفة الحديثة:

التحليل العلمى يقرر حالياً فى أمريكا الشمالية والمملكة المتحدة الفلسفة على أنها تقنية بحتة تركز على المنطق والتحليل المنهجي ومواضيع اهتمامها: نظرية المعرفة وطبيعة اللغة وطبيعة العقل والاتجاهات الإيجابية لدراسة الفن.

وبهذا تصبح الفلسفة حالياً فى الغرب المتقدم مهتمة بتحديد طريقة الحياة المثالية وليست محاولة لفهم الحياة من جوانب القيم الأخلاقية والعقائدية، وفى إطار عام لتلك الفلسفة هى أساس المعرفة والمنهج التجريبي.

### • خلاصة الناتج الفلسفى:

وبما أن أصبحت الفلسفة الغربية هى الفلسفة العلمية التجريبية فهذا يعنى أن تلك الفلسفة قامت على سقف بنيان عريق من الفلسفة التى كانت جوانبها هى: أصل الكون وجوهره الخالق (الصانع) وعلاقته بال مخلوق صفات الخالق (الصانع) ولماذا وُجد الإنسان؟ والعقل وأسس التفكير السليم والإرادة الحرّة ووجودها والبحث فى الهدف من الحياة وكيفية العيش السليم.

ثم ظهرت القضايا والتخصصات الفلسفية كفروع للفلسفة ومنها:

ما وراء الطبيعة:

(الميتافيزيقا) علم يدرس الواقع والوجود من حيث طبيعتهما الأساسية.

المنطق:

يتناول مبادئ وطرق المحاكمة العقلية ويسمى علم القياس فهو يستكشف كيفيات التمييز بين المحاكمة القويمة والمحاكمة السقيمة، ويُسمى المثال المستخدم فى المحاكمة البرهان أو الاستدلال، يتمثل البرهان فى جملة من الحجج تسمى مقدمات وهذه تقترن بحجة أخرى تسمى النتائج التى من المفروض أن تستند إلى المقدمات أو تنتج عنها والبرهان القوى يكون سندا للنتائج بعكس البرهان الضعيف.

• نظرية المعرفة: هدفها تحديد طبيعة المعرفة وأساسها ومجالها على هذا تُدرس فى

نظرية المعرفة المسائل: مصدر المعرفة، قيمة المعرفة، طبيعة المعرفة، وحدود المعرفة.

• القيم: سيرة الإنسان وشخصيته وقيمه فهى تدرس طبيعة الصواب والخطأ وتميّز بين

الخير والشر وما إذا كان عمل من الأعمال أو مبدأ من المبادئ صائباً أو خاطئاً من الناحية الأخلاقية.

● الجمال: يبحث في الإبداع وكذا في المبادئ التي يقوم عليها الفن والجمال كما أنه يدرس أفكارنا ومشاعرنا ومواقفنا حينما نرى ونسمع ونطالع شيئاً جميلاً أو العكس.

● فلسفة الدين: علم يهتم بدراسة وتحليل طبيعة المعرفة الدينية وما تنطوى عليه المعتقدات.

● فلسفة العلم: فلسفة تُعنى بفهم وتفسير ظاهرة العلم فهما يعمقها فتبحث في التنظيم الأمثل لمناهجه ومعرفة خصائصه ومقوماته ومحاولة حل مشكلاته...

وهناك مسائل أخرى تناولتها الفلسفة منها: فلسفة القانون وفلسفة التاريخ وفلسفة التربية وغيرها.

